شرح
معاني الفاتحة
وقصار المفصل

مفرغ من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

شرح
معاني الفاتحة
وقصار المفصل

سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٨٥)

شرح
معاني الفاتحة
وقصار المفصل

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com

الحمد لله الَّذي جَعَلَ الحَجَّ مقامًا للتَّعليمْ، وهَدَى فيه مَنْ شاء مِن عِباده إلى الدِّين القويمْ، وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حَجَّ الحُجَّاجْ، وعلى آله وصَحْبه خِيرة وَفْد الحاجْ.

أَمَّا بعد:

فهذا شَرْح (**الكتاب الأَوَّل**) من برنامج (**تعليم الحُجَّاج**) في سَنته الرَّابعة سِتٍّ وثلاثين وأربعمائةٍ وأَلْف، وهو كتاب «**معاني الفاتحة وقِصار المُفَصَّل**»، لمُصَنِّفه صالح بن عبد الله بن حَمَدٍ العُصَيْمِي.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْد لله الَّذي جَعَلَ القرآنَ لِكُلِّ شـيءٍ تِبيانًا، ورَزَق بِهِ مَنْ شَـاءَ مِن عِباده عِلْمًا وإيمانًا، والصَّلاة والسَّلام على رَسولِه محمَّدٍ المُنْزَل عليهْ، وعلى آله وصَحْبه ومَنِ انتمى في الهُدى إليهْ.

أَمَّا بعدُ:

فإنَّ معرفةَ آحادِ المُفرَداتْ؛ تُعِين على فَهْم الجُمَل الكُلِّيَّاتْ، ومعرفةَ معانِي كَلِم القرآنْ؛ تُيَسِّرُ إدراك ما له من الهُدى والبيانْ.

وهذه نُبْذةٌ مُختصَـرَه، وتُحفةٌ مُعتصَـرَه، مِن المُوَضِّـح المُحَصَّـلْ، في معاني كلمات سورة الفاتحة وقِصَار المُفَصَّلْ، واللهُ المسؤول المُؤمَّلْ، أَنْ يعفو ويَتَقَبَّلْ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ابتدأ المصنِّف – وَفَّقه الله – كتابه بالبسملة، ثُمَّ أَرْدفها بـــ (حَمْد الله)، وحَمِدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أمرين:

- أحدهما: أَنْ (جَعَلَ القرآن لِكُلِّ شيءٍ تِبيانًا)؛ أي مُوَضِّحًا مُبَيِّنًا له.

- **والآخر**: أَنْ (رَزَقَ به مَنْ شاء من عِباده عِلْمًا وإيمانًا). فالقرآن يُثمِر في النُّفوسِ: العِلْمَ، والإيمانَ.

فَحَمِدَ المُصَنِّف رَبَّه عَزَّوَجَلَّ على هذَيْن الأمرين؛ تعظيمًا لمقامهما، وتَنويهًا بِعُلُوِّ مَرتبتهما.

ثُمَّ ثَلَّث بالصَّلاة والسَّلام على مُحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلى آله وصَحْبه.

ثُمَّ ذَكَر منفعة معرفة آحاد المُفردات؛ فقال: (فإِنَّ معرفةَ آحاد المُفرداتْ؛ تُعِين على فَهْم الجُمَل الكُلِّيَّاتْ)؛ فَجُمَل الكلام لا يُرتقَى إِلى فَهْمِها إِلَّا بمعرفةِ معانِي آحادِ مُفرداتِها.

فـ (الكلام) نوعان:

- **أحدهما**: جُمَلٌ مُرَكَّبةٌ.
- **والآخر**: مُفرداتٌ مُرسَلَةٌ.

والجُمَل المُرَكَّبة مَبنِيَّةٌ من تلك المُفردات؛ فلا يُتَوَصَّل إلى فَهْم الجُمَل المُرَكَّبات، إِلَّا بمعرفة معانِي آحاد المفردات.

فإذا سَمعتَ كلامًا وَوَعيْتَ معانِي مفرداته، أَمْكَنك أَنْ تَعِيَ معانِي جُمَلِه.

ثُمَّ قال: (ومعرفة معانِي كَلِم القرآنْ؛ تُيَسِّر إدراكَ ما لَه من الهُدى والبيان)؛ فإِنَّ القرآن الكريمَ كتاب هُدًى وبيانٍ، وبُلوغُ ما فيه من الهُدى والبيان موقوفٌ على معرفة معانِي كَلِمِه؛ فإذا عرفتَ معانِي كَلِم القرآنِ تَيَسَّرَ لك إدراكُ ما فيه مِن الهُدى

والبَيَان.

فمثلًا: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة]، لا تَطَّلِع على ما فيه من الهُدى والبيان إِلَّا باطِّلاعك على معانِي مفردات تلك الجُملة؛ بأَنْ تعرفَ معنى (الحَمْد)، ومعنى (الله)، ومعنى (الرَّبِّ)، ومعنى (العالَمين).

فإذا وَعَيْتَ معانِي هذه المفرَدات الأربع، أَمْكنك أَنْ تُدرِك ما في قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ من الهُدى والبيان.

ثُمَّ قال: (وهذه نُبْذةٌ مُختصَره، وتُحفةٌ مُعتصَره)؛ أي شيءٌ قليلٌ يسيرٌ؛ دَعَا إلى اختصارِه رجاءُ تَمام المنفعة به؛ فإِنَّ الكلام يُختصَرُ لِيُوعَى ويُفهَمَ.

وقاعدة الشَّريعة: بناءُ الأَدِلَّة والأحكام فيها على الاختصار.

ومِن المناقب المُحَمَّدِيَّة، والمواهب الرَّبانِيَّة الَّتي أُوتِيها النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّه اختُصِرَ له الكلام اختصارًا؛ فأُوتِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَواتحَ الكَلِمِ وخواتمَه وجوامعَه؛ فكان يُجمَع له المعنى الجليل في الكلام القليل.

وتلك النُّبذة المُختصَرة والتُّحفة المُعتصَرة مَحَلُّها من القرآن هو المذكور في قوله: (من المُوَضِّح المُحَصَّلْ، في معانِي كلمات سورة الفاتحة وقِصَار المُفَصَّلْ)، فالمذكور في طَيَّات هذا الكتاب يتعلَّق بقَدْرٍ من القرآن؛ هو الفاتحة وقصار المُفَصَّل.

والمراد بـ (الفاتحة): فاتحة الكتاب؛ وهي سورة الحَمْد.

والمراد بـــ (قِصار المُفَصَّل): السُّوَر القِصَار في آخر المصحف؛ المبدوءةُ بـ (سورة الضُّحى).

فإِنَّ القرآنَ حُزِّب أحْزابًا، وجُعِلَ أقسامًا وأجْزاءً، **وآخِرُها**: حِزْب المُفَصَّل، **ومُبتدؤُه في أَصَحِّ الأقوال**: سورة (ق)، **وهو مُنقسِمٌ على أقسامٍ ثلاثةٍ**:

- **أَوَّلَها**: طِوال المُفَصَّل.
- **وثانيها**: أوساط المُفَصَّل.
- **وثالثها**: قِصار المُفَصَّل.

فأَمَّا القِسْم الأَوَّل – وهو طِوال المُفَصَّل – فَمُبتدؤُه: سورة (ق).

وأَمَّا القِسم الثَّانِي – وهو أواسط المُفَصَّل – فمبتدؤُه: سورة (النَّبَأ).

وأَمَّا القسم الثَّالث – وهو قِصار المُفَصَّل – فمبتدؤُه: سورة (الضُّحى).

فالمذكور في هذا الكتاب مُقتَصِرٌ على جملتين من القرآن:

- **إحداهما**: سورة الفاتحة.
- **والأخرى**: قِصار المُفَصَّل.

والدَّاعي إلى اقتصاره عليهما:

- هو أَنَّ الفاتحةَ أعظمُ سُوَر القرآن.
- وأَنَّ قصارَ المُفَصَّل هي أكثر السُّوَر دَوَرَانًا على الأَلْسنة؛ فإِنَّ محفوظَ جمهور المسلمين: قصار المُفَصَّل؛ فَهُم يُكَرِّرون قراءتَها في صلواتِهم وغيرِها؛ فحقيقٌ بِهم أَنْ يعتَنُوا بمعرفةِ معانيها.

ثُمَّ خَتَم مُقَدِّمتَه مُتَضَرِّعًا إلى الله داعيًا إِيَّاه: (أَنْ يعفوَ ويَتَقَبَّلْ).

- و(العَفْو) مُتَعَلَّقُه: العَمَل السَّيِّئ.
- و(التَّقَبُّل) مُتَعَلَّقُه: العمل الصَّالح.

فإِنَّ عَمَل العبد كُلَّه يرجع إلى نوعين:

- **أحدهما**: العمل الصَّالح.
- **والآخر**: العَمَل السَّيِّئ.

فإذا دَعَا العبدُ رَبَّه بـــ (العَفْوِ) فَمَرجُوُّه في دعائه: أَنْ يعفوَ الله عن زَلَلِه فيما اقْتَرف من سَيِّئ العمل.

وإذا دَعَا العبدُ رَبَّه (أَنْ يَتَقَبَّل) فَمَرجُوُّه: أَنْ يَتَقَبَّل اللهُ منه عَمَلَه الصَّالحَ.

والدُّعاء بـــ (التَّقَبُّل) هو الأكملُ، المُوافِقُ دعاءَ الأنبياء؛ فإِنَّ الأنبياءَ لم يَدْعُو قَطُّ بقولهم: (رَبَّنا اقبل مِنَّا) وهو الدُّعاء بالقَبول، ولكن دَعوا رَبَّهم بـــ (التَّقَبُّلَ) فقالوا: (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا).

و(التَّقَبُّل) أعلى من (القَبول)؛ فإِنَّ (التَّقَبُّل) يجمع ثلاثة أمورٍ:

- ✓ **أحدها**: صِحَّة العَمَل، وبراءة ذِمَّة العبد من الطَّلب.
- ✓ **وثانيها**: حصولُ الأَجْر على العَمَل.
- ✓ **وثالثها**: مَحَبَّةُ اللهِ العامِلَ ورِضَاه عنه.

فإذا دَعا العبد رَبَّه بقوله: (ربَّنا تقبَّلْ منَّا) كان مَطلُوبَه هو إدراكُ هذه الأمور الثَّلاثةِ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

معاني سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة].

﴿اللَّهِ﴾: عَلَمٌ على (رَبِّنا)، ومعناه: المَأْلوه المُستَحِقُّ لإفراده بالعِبادة.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (ومعناه: المَأْلوه)؛ أي المُعَظَّم بالحُبِّ والخُضوع.

فإنَّ حقيقة (التَّأليه) ترجعُ إلى وُجود هذَيْن المَعنيَيْن؛ فإذا انطوى القلب في العَمَل على حُبِّ الله، والخضوعِ له = سُمِّي ذلك (تأليهًا)، وكان الله مَألوهًا، والعبدُ مُتَأَلِّهًا.

فمَدَار العِبادة على الحُبِّ والخُضُوع.

وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

وَعِبَـادَةُ الرَّحْمَنِ غَـايَـةُ حُبِّـهِ وَخُضُــوعُ قَاصِــدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَالـذُّلُّ قَيْدٌ مَا أَتَى فِي وَحْيِنَا وَالْوَحْيُ - قَطْعًا - أَكْمَلُ التِّبْيَانِ

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: اسمَان مِن أسمائه تعالى، دَالَّان على رَحمْتِه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ (الرَّحمن، والرَّحيم) اسمان من أسماء الله تعالى.

فإِنَّ لله أسماءً حُسنَى؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] الآيةَ.

وهذان الاسمان دَالَّان على رحمتِهِ؛ إِذْ كُلُّ اسمٍ مِن أسماء الله فيه صِفَةٌ لرَبِّنا أو أكثرُ؛ فَاسْم (الرَّحمن) فيه صِفَة (الرَّحمة)، واسْمُ (الرَّحيم) فيه صِفَةُ (الرَّحمة).

فقوله تعالى: (﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) دَالٌّ على أمرين:

- ✓ **أحدهما**: إثبات أَنَّ (الرَّحمن، والرَّحيم) من أسماء الله الحُسنى.
- ✓ **والآخر**: إثبات أَنَّ (الرَّحمة) صفةٌ مِن صفاته العُلا.

وطريق استفادة صِفَّة (الرَّحمة) له، مِن إثبات اسْم (الرَّحمن، والرَّحيم) له.

فالأسماء الإِلهِيَّة من دلائل الصِّفات الرَّبَّانِيَّة، وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

أَسْمَاءُ رَبِّنَا عَلَى الصِّفَاتِ ... مِنَ الْأَدِلَّةِ لِذِي الْإِثْبَاتِ

والفَرْق بين هذين الاسمين:

- **أَنَّ (الرَّحمنَ)**: اسْمٌ لله تعالى دَالٌّ على صِفَة الرَّحمة حالَ تَعَلُّقِها بذاته.
- **و(الرَّحيمَ)**: اسْمٌ لله تعالى دَالٌّ على صِفَة الرَّحمة حالَ تَعَلُّقها بالمَرْحُومين الَّذين وَقعت عليهم الرَّحمة.

ذَكَره أبو عبد الله ابنُ القَيِّم في «بدائع الفوائد».

وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

وَرَحْمَةٌ للهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ ... بِذَاتِهِ فَالِاسْمُ (رَحْمَنٌ) ثَبَتْ

أَوْ عُلِّقَت بِخَلْقِه الَّذي رَحِمْ ... فَسَمِّهِ (الرَّحِيمَ) فَازَ مَنْ سَلِمْ

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: هو الإخبار عن مَحَاسِن المَحْمُود مع حُبِّه وتعظيمه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المصـنِّف في حقيقة (الحَمْد) يُبَيِّن أَنَّ (**الحَمْد**) **مُرَكَّبٌ من أمرين:**

- ✓ **أحدهما**: الخَبَر عن محاسـن المحمود؛ أي وجوهِ حُسْـنِه الدَّالَّةِ على كمالِه.
- ✓ **والآخر**: اقتِرانُ ذلك الخَبَر بِحُبِّه وتعظيمِه.

فَحَمْدُنا رَبَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَامعٌ للأمرين؛ فنحنُ إذا حَمِدنا اللهَ فإِنَّنا نُخبِر عن وُجوه حُسنه مِن صفات كماله، مع حُبِّنا له وتعظيمنا إِيَّاه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿رَبِّ﴾: الرَّبُّ في كلام العرب: المالِكُ، والسَّيِّدُ، والمُصلِحُ للشَّيء.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ مَرَدَّ معنى كلمة (الرَّبِّ) في لسان العرب إلى ثلاثة معانٍ:

- **أحدها**: المالِك.
- **وثانيها**: السَّيِّد.
- **وثالثها**: المُصلح للشَّيء؛ أي القائم على تدبير شؤُونه بما يُصلِحُه في العاجل والآجل.

وإلى هذه المعانِي أشرتُ بقولي:

سَيِّدُهُمْ وَمَالِكٌ وَالْمُصْلِحُ ... لِـ(الرَّبِّ) مَعْنًى فِي اللِّسَانِ صَرَّحُوا

فإلى هذه المعانِي الثَّلاثة ترجع كلمة (الرَّبِّ) في الوَضع العربيِّ؛ ذَكَره ابن الأنباريِّ وغيرُه.

ووَسَّع المتأخِّرون القَوْلَ فِي معاني (الرَّبِّ)، حَتَّى بَلَّغَها أحمدُ بنُ أحمدَ السُّجاعيُّ الأزهريُّ ثلاثينَ معنًى، تَرجِعُ – عند التَّأمُّل – إلى هذه المعانِي الثَّلاثة.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جَمْعُ (عَالَمٍ)؛ وهو اسْمٌ للأفراد المتجانسة من المخلوقات؛ فَكُلُّ جِنسٍ منها يُطْلَق عليه (عالَمٌ)؛ فيُقَال: (عَالَم الإنس، وعَالَم الجِنِّ، وعَالَم الملائكة).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ (العالَمين) في لسان العرب: (جَمْعُ (عَالَمٍ))؛ ثُمَّ بَيَّن معنى (العالَم) بقوله: (وهو اسْمٌ للأفراد المتجانِسة من المخلوقات)؛ أي المُشتَرِكة في جنسٍ واحدٍ.

فالمخلوقات المُشتَرِكة في جنسٍ واحدٍ تُسَمَّى (عالَمًا).

والحُكْم على المخلوقات باشتِراكها في جنسٍ عُمْدَتُه: كلام العرب، لا مُواضعاتُ المُتأخِّرين في علومهم.

فإنَّ مُتَأَخِّري أهلِ العُلوم تَوَاطَؤُوا على وَضْع اصطلاحاتٍ يجمَعُونَ فيها أشياءَ مُتَفَرِّقةً باعتبار عُلومِهم، لكنَّها لا تكون كذلك باعتبار الوضع العربيِّ.

فإذا أردتَّ أَنْ تعلمَ كَوْنَ شيءٍ (عَالَمًا) وَجَبَ أَنْ تنظر في لسان العرب: هل يَعُدُّون أفرادَه جِنسًا مشتَرَكًا أَمْ لا؟

فإذا وُجِدَ في كلامهم ذلك سُمِّي (عالمًا)؛ كالمذكور في قوله: (فَكُلُّ جنسٍ

منها يُطلَق عليه (عالَمٌ)؛ فيُقَال: (عَالَم الإنس، وعَالَم الجِنِّ، وعَالَم الملائكِة)).

- فالأفراد المُشتَرِكة مِن تلك الأجناس سُمِّيت (عالَمًا).
- وإذا لم تكن الأفراد مُتجانسةً - لاختلافها أو انفرادها - لم تُسَمَّ (عالمًا).

فمثلًا: العرشُ الإلهيُّ فَرْدٌ لا شريكَ له مِن جنسه.

ومثلُه: الكُرسيُّ الإلهيُّ المذكورُ في آية الكُرسيِّ؛ فهو فَردٌ لا شريكَ له في جنسه.

وكذا: الجَنَّة والنَّار؛ فلا شريكَ لهما في جنسهما.

= فهذه مخلوقاتٌ منفرِدةٌ، لا جِنْسَ لها.

فالمخلوقات نوعان:

- **أحدهما: الأفراد المُتجانِسة**؛ وهي المُشتَرِكة في جِنسٍ واحدٍ؛ كالجِنِّ والإنس والملائكة.
- **والآخر: المخلوقات المُنفرِدَة**؛ وهي المُستَقِلَّة برأسِها؛ فلا تُسَمَّى (عالَمًا)؛ لأنَّها لا يجمعها مع غيرها جِنْسٌ؛ كالعَرْشِ والكُرسيِّ الإلهيَّين، والجَنَّة والنَّارِ اللَّتَيْن هما دار الجزاء.

ويَخْتَصُّ (العالَم) بالأفراد المتجانسة، ولا يُسَمَّى غيرُه (عالَمًا).

والحُكم بكَوْن أشياءَ مختلِفةٍ هي جنسٌ مَرَدُّه إلى الكلام العربيِّ.

فمثلًا: ما يُمكن أَنْ يُقال عن هذه الأربعِ (العرش، والكُرسي، والجَنَّة، والنَّار) بأَنَّها أفرادٌ متجانسةٌ و(عالَمٌ) باعتبار كَوْنِها (جماداتٍ): هو غلطٌ على لسان العرب، ومُخالِفٌ لأسرار الله في مخلوقاته؛ فإِنَّ اسم (الجَمَاد) في عُرْف مُتأَخِّري علومِ أهلِه ليسَ مُوافِقًا لِوَضْع الخطاب الشَّرعيِّ.

فالنَّبات والجدار وغيرهما لا يُحكَم عليها عند علماء المعرفة المُتأخِّرين بِأَنَّها من الأحياء، أي ما لها صفاتُ الحيِّ؛ كالعِلْم والإرادة وغيرهما.

وأَمَّا في الخطاب الشَّرعيِّ: فجاء إثباتُ صفاتٍ – كالعِلْم، والحياة، والإرادة – لِمَا يُسَمِّيه النَّاس في معارِفِهم العصرِيَّة (جمادًا).

فلا بُدَّ مِن التَّفريق بين الوَضْع الشَّرعِيِّ واللُّغويِّ، وبين الطَّارئ في المعارف المُتَأَخِّرة.

ولا يُفسَّر خطاب الشَّرع بِهذا الطَّارئ.

ومنه مثلًا: الجاري في عُرْف علماء الهَيئة الحديثةِ في الفَلَك مِن التَّفريق بين (الكوكب، والنَّجم)؛ بأَنَّ (الكوكب: جُرْم مُعتِمٌ)، وأَنَّ (النَّجم: جُرْمٌ مُضِيءٌ)؛ فإِنَّ هذا المعنى لا يُساعِد عليه القرآن، **ومِن الغَلَط**: تفسير (النَّجم والكوكب) في القرآن خاصَّةً وفي الخطاب الشَّرعيِّ عامَّةً بتفسير هؤلاء.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء على الأعمال.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذكره المصنِّف – وَفَّقه الله – يَدُلُّ على أَنَّ (الدِّين) **جامعٌ بين أمرين**:

- ✓ **أحدهما**: الحساب؛ وهو مُقَدِّمته.
- ✓ **والآخر**: الجزاء؛ وهو خاتِمَتُه.

فالعبد يُحاسَب أَوَّلًا، ثُمَّ يُجزَى ثانيًا.

وكَوْنُ أحدٍ من الخَلْق لا يُحاسَب تَفَضُّلًا من الله ونعمةً لا يرفعُ هذا الأصلَ؛ فإِنَّ الأصلَ: عمومُ الحساب للخَلْق، ورَفْعُه عن بعضِهم – كالسَّبعين ألفًا، ومَنْ يتبعُهم – فَضْلٌ من الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نَخُصُّك وحدَك بالعِبادة.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نستعينُ بك وحدَك في جميع أمورنا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – في تفسير هاتين الجملتين مِن هذه الآية ما يَدُلُّ على إرادة تخصيص الله بما ذُكِرَ فيها؛ فقال: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نَخُصُّك وحدك بالعِبادة)، (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نستعينُ بك وحدَك في جميعِ أمورنا).

والتَّخصيص المذكور مُستفادٌ مِن تقديم ما حَقُّه التَّأخيرُ؛ فإنَّ تقدير الكلام: (نعبدُ إِيَّاك، ونستعين إيَّاك).

فلمَّا قُدِّمَ ما حَقُّه التَّأخير؛ فقال الله: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾) عُلِمَ أَنَّ المُراد: هو إفادة تخصيص اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك.

فلا يُجعَل شيءٌ من العِبادة لغيره، ولا يستعينُ العبد في تحقيق مطلوباتِه والوصولِ إليها إِلَّا به عَزَّوَجَلَّ.

وهذا التَّخصيص يُسَمِّيه علماء المعانِي بـ(القَصْر)، ويُسَمِّيه الأصوليُّون بـ(الحَصْر).

وإلى معناه أشار الأخضريُّ في «الجوهر المكنون» بقولِه:

تَخْصِـــيصُ أَمْرٍ مُطْلَقٍ بِـأَمْرِ هُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِـــ(الْقَصْرِ)

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ ٱهۡدِنَا﴾: دُلَّنا وأَرْشِدْنا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ قول الله في سؤالِ الخَلْق: (﴿ ٱهۡدِنَا﴾) مُرادُهم فيه: (دُلَّنا وأَرْشِدْنا)؛ فَهُم يسألُونَ الله عَزَّوَجَلَّ الدِّلالةَ والإرشادَ إلى الصِّراط المستقيم.

والهدايةُ الَّتي يطلُب العبدُ حصولَها مِن الله إلى الصِّراط المستقيم نوعان:

- **أحدهما**: هداية وصولٍ إليه.
- **والآخر**: هداية ثباتٍ عليه.

فأنت بقولك: (﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾):

- تسأل اللهَ أَنْ يُوصِلَك إلى معرفة الصِّراط المستقيم، وهو دين الإسلام – كما يأتِي –، بمعرفة ما فيه من الخَبر والطَّلب.
- وتسأله سبحانه أَنْ يُثَبِّتك عليه.

فالواصلون إلى الصِّراط المستقيم مُفتقِرُون أَشَدَّ الافتقار إلى الثَّبات عليه حَتَّى يَلقَوْا رَبَّهم عَزَّوَجَلَّ.

وقولُ أحدِنا في كُلِّ صلاةٍ: (﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾) مع كَوْنه مُسلمًا، دعاءٌ يُضطَرُّ إليه أشدَّ الاضطرار.

ومنفعة دعاء المسلم بالهداية إلى الصِّراط المستقيم ترجع إلى أمرين:

❊ **أحدهما**: دوام هدايةِ الله له في أفراد الخبَر والطَّلب.

فإنَّك أيُّها المسلم المَهديُّ إلى الصِّراط المستقيم مُفتقِرٌ في كُلِّ خَبرٍ وطَلَبٍ إلى أَنْ يهديَك الله عَزَّوَجَلَّ إلى محبوبه فيه.

فأنتَ إذا قصدتَ الصَّلاةَ مُفتقِرٌ إلى أَنْ يهديَك الله إلى مَحبُوبه في تلك الصَّلاة.

❊ **والآخر**: ثباتك على ما هُدِيتَ إليه من الإسلام.

فإنَّ القلوب بين أُصبعين مِن أصابع الرَّحمن، مَنْ شاء أقامه ومَنْ شاء أزاغه.

فالمسلم المُهتدي إلى الصِّراط المستقيم مُضطَرٌّ إلى سؤال الله أَنْ يُثَبِّته على الصِّراط المستقيم حَتَّى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: الإسلام.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

فسَّر المصنِّف - وَفَّقه الله - الصِّراط المستقيم بـ(الإسلام)؛ لأَنَّه ثَبَتَ تفسيرُه به عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في حديث النَّواس بن سمعانَ عند أحمدَ بإسنادٍ حَسَنٍ.

والمراد به: الصِّراط الدُّنيويُّ؛ **فإنَّ اسم (الصِّراط) يقع على اثنين:**

- **أحدهما**: الصِّراط الدُّنيويُّ؛ وهو دين الإسلام.
- **والآخر**: الصِّراط الأُخرويُّ؛ وهو جِسْرٌ منصوبٌ على متن جَهَنَّم.

فقول العبد: (﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾) يُراد به سُؤال الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يهديه إلى الصِّراط الدُّنيويِّ، وهو الإسلام.

ومِن دقائق تَصَرُّفات خطاب الشَّرع: أَنَّ الصِّراط الدُّنيويَّ وُصِفَ بالاستقامة؛ فقال تعالى: (﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾). أَمَّا الصِّراط الأُخْرَويُّ: فلم يُوصَف بالاستقامة، بل يُذْكَر بِاسْم (الصِّراط) فقط.

والدَّاعي لذلك: أَنَّ الطُّرقَ المُدَّعى أَنَّها تُوصِل إلى الله ورِضوانِه في الدُّنيا كثيرةٌ.

فأرباب الضَّلال كُلُّهم يَدَّعي أَنَّ ما هو عليه هو الحقُّ؛ فاليهودُ والنَّصارى

والمشركون والشُّيوعيُّون وأضرابُهم يَدَّعُون أَنَّ ما هُم عليه هو الحَقُّ؛ فمُيِّزَ الحقُّ في هذه الدُّنيا بِوَصْف (الاستقامة).

فالصِّراط المستقيم والطَّريق القَوِيم في الدُّنيا واحدٌ؛ هو ما جاء به الرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمُيِّز عن غيره بِوَصْف (الاستقامة).

وأَمَّا في الآخرة: فلا طريقَ يُوصِل إلى الله ورِضوانه ودارِ كرامته إِلَّا صراطٌ واحدٌ؛ فلا يُدَّعى غيرُه ولا يُوجَد سواه؛ فلم يُحتَج إلى تَمييزه بِوَصْف (الاستقامة).

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: المُتَّبِعِين للإسلامِ الَّذي جاء به النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: الَّذين عَرفوا الحقَّ ولم يعمَلوا به، وهُم اليهود.

﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: الَّذين تَركوا الحقَّ عن جَهْلٍ فلم يَهْتدُوا وضَلُّوا الطَّريق، وهُم النَّصارى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذكره المصنِّف - وَفَّقه الله - في هذه الآيات الثَّلاث يُبيِّن **افتراق الخَلْق إلى ثلاث فِرَقٍ**:

- **فالفِرقة الأُولى**: الَّذين أنعمَ الله عليهم؛ وهُم المُتَّبعون لدين الإسلام.
- **والفِرْقة الثَّانية**: الَّذين غَضِبَ الله عليهم؛ وهُم الَّذين عرفوا الحَقَّ ولم يعملوا به، وهُم اليهود.
- **والفِرْقة الثَّالثة**: الَّذين ضَلُّوا، وهُم النَّصارى.
  - فالفِرْقة الأُولى: تجمع بين العِلْم والعَمل.
  - والفِرْقة الثَّانية: لهم عِلْمٌ، لكن لا عَمَلَ عندهم؛ فَهُم يتركون العَمَلَ بالعِلم.
  - والفِرْقة الثَّالثة: هُم يعملون، لكن بلا عِلْمٍ.

فالَّذي يُحِبُّه الله ويرضاه مِنَّا هو العِلْم والعَمَل.

فإذا أردتَ أَنْ تكون مِن المُنعَم عليهم، فَتَحَرَّ عِلْمَك بما يُحِبُّه الله ويرضاه، ثُمَّ عَمَلَك به.

فالحَاجُّ - مثلًا - يكون مِن المُنْعَم عليهم إذا اجتهَدَ أَوَّلًا في العِلْم بالمناسك، ثُمَّ اجتهَد ثانيًا في العَمَل بذلك العِلْم.

ولا يكون الحاجُّ مُنعَمًا عليه إذا كان فِعْلُه للمناسك بلا عِلْمٍ، بل مُنتهى أَخذِه المناسك مِمَّا يرى عليه النَّاس دون بَيِّنةٍ، أو يسأل مَنْ لا يَحِلُّ له أَنْ يسأله.

كَرَجُلٍ رأيتُه في المَسعى أَخَذَ بيد رجلٍ مِمَّنْ يدفع بالعَرَبات، فسأله عن كيفِيَّة السَّعي، فأخبره الخَبَر؛ فهذا مِمَّا لا يَحِلُّ له فِعْلُه؛ لأَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل:٤٣]؛ أي أهل العِلْم، لا أَنْ يسأل المرءُ مَنِ اتَّفق له وجودُه بين يديه.

وقد هُيِّئَ - بحَمْد الله - في المسجد الحرام وفي غيره مِن مواقع المشاعر المُقَدَّسة أماكنُ مُعَيَّنةٌ لِمَنْ أراد أَن يسأَلَ مِمَّا يَتْبَع لوزارة الشُّئون الإسلامِيَّة أو للرِّئاسة العامَّة للبحوث العلمِيَّة والإفتاء؛ فإذا أرادَ الحاجُّ أَنْ يسأَلَ قَصَدَ هؤلاءِ، ثُمَّ إذا عَرَفَ عِلْم مناسكِه عَمِلَ به؛ فمتَى جَمَعَ بينهما صار من المُنعَم عليهم في الحَجِّ.

وإذا كانت هذه عادةً مُطَّردةً له في دينه كُلِّه صار من المُنعَم عليهم، الجامعين بين العِلْمِ والعَمَلِ.

فإِنْ كان يعملُ بلا عِلْمٍ تُخُوِّف عليه الضَّـــلال، أو كان له عِلْمٌ لكنْ لا يعمل به تُخُوِّف عليه الغَضَبُ، فيقع له مُشابَهة اليهودِ أو النَّصارى فيما كانوا عليه.

وقوله تعالى: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾)، أُضـــيف فيه الصِّـــراط إلى الخَلْق السَّالكين له.

وأُضـــيفَ في موضـــعٍ آخرَ من القرآن إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُستَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] الآيةَ.

والفَرْق بين الإضافتين:

- أَنَّ إضافته إلى الله هي باعتبار أَنَّه واضعه وشَارِعه.
- وإضافته إلى الخَلْق باعتبار أَنَّهم سالكُوه السَّائِرُون عليه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

معاني سورة الضُّحى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضُّحى].

﴿وَالضُّحَىٰ﴾: اسْم ضوء الشَّمس إذا أشرقَ وارتفَعَ. والمراد به هنا: النَّهارُ كُلُّه.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (والمراد به هنا: النَّهار كُلُّه) فيه إشارةٌ إلى وقوعه على غير هذا المعنى في موضعٍ آخر من القرآن؛ **فإنَّ (الضُّحى) في القرآن يجيء على معنيَيْن:**

- **أحدهما: معنًى عامٌّ**؛ وهو النَّهار كُلُّه.

وعلامتُه: مُقابَلَتُه بـ(اللَّيل)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾

[النَّازعات]، وقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾، فـ (الضُّحى) في الآيتين مُقابَلٌ بـ (اللَّيل)؛ فيكون اسْمًا للنَّهار كُلِّه.

- **والآخر: معنًى خاصٌّ**؛ وهو أَوَّل النَّهار.

وعلامتُه: مُقابلتُه بـــ (العَشِيَّة) آخر النَّهار، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النَّازعات].

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿سَجَىٰ﴾: سَكَنَ بالخَلْق، وثَبَتَ ظَلامُه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قول المصنِّف: (وثَبَتَ ظَلامه) أي تَمَكَّن واستحكم. فـ(التَّسجية): التَّغطية المُتَمَكِّنة.

ولا تكون وَصْفًا لـ(اللَّيل) إِلَّا إذا سَكَنَ وقَوِي ظَلامُه.

ومُبتدأ (اللَّيلِ) يُسَمَّى (تغشِيةً)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [اللَّيل]؛ فـ(الغِشاء): اسْمٌ للغطاء الخَفيف؛ أي الرَّقيق الَّذي يُشِفُّ عمَّا وراءه، فيبتدئ اللَّيلُ بتغشية الدُّنيا شيئًا فشيئًا غطاءً خفيفًا، فإذا تَمَادَى واستحكَم سُمِّي هذا (تَسْجيةً)؛ وهي المذكورة في قوله تعالى: (﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾).

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿مَاوَدَّعَكَ﴾: ما تَرَكَك.

﴿وَمَاقَلَىٰ﴾: وَمَا أَبْغَضَك.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ (القِلَى) في الآية: معناه البُغض؛ فقوله تعالى: (﴿وَمَاقَلَىٰ﴾): أي (وَمَا أَبْغَض).

والمراد بـ (البُغض) المَنْفيِّ هنا: نَفْيُ بُغْضِ اللهِ رسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا أَنَّ الله لم يُضِفْه إلى نفسِه؛ فقال: (﴿مَاوَدَّعَكَ﴾) مُضِيفًا ذلك إلى نفسه المُقَدَّسة سبحانه، ولم يَقُل: (وَمَا قَلَاكَ)، بل قال: (﴿وَمَاقَلَىٰ﴾)؛ فَفَرَّق بينهما.

وسياقُ الكلام: أَنَّ المعنى كذلك؛ فقوله: (﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣﴾): أي وما قَلَى الرَّسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلم يَقُلِ الله: (مَا وَدَّعَك رَبُّك ومَا قَلَاكَ)، بل قال: (﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣﴾).

والدَّاعي إلى ذلك: تبعيد وقوع بُغضِه سبحانَه رسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِمَحْوِ ذلك من النُّفوس وتبعيدِه أَشَدَّ البُعْدِ قال الله: (﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣﴾).

وما يقع في كلام مُتَأَخِّري المُفسِّرين في مثل هذا الموضع مِن قولهم: (بأَنَّه

وَقَعَ رعايةً للفَاصلة)؛ أي ليقع التَّشابُه بين أواخِر الآي بالألِف المَقْصُورة في قوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، وقوله: ﴿سَجَىٰ﴾، وقوله: ﴿قَلَىٰ﴾ = إِنَّما يصلُح مِثلُه في كلام المخلوق الَّذي يَتكَلَّفُه.

وأَمَّا كلام رَبِّنا سبحانه: فكمالُه فوق هذا.

فلا يَصِحُّ إطلاق القَوْل بأَنَّه وَقَعَ رعايةً للفاصِلة - أي طَلَبًا للفصيح من الكلام في موافقةِ فَوَاصِل الآيِ بعضِها بعضًا ليتحَقَّق السَّجع -؛ فإِنَّ هذا مطلوبُ المخلوق النَّاقص في كلامِه وبيانِه، وأَمَّا الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي له أكملُ الوَصْفِ في كلامه وبيانه: فغيرُ مُفتقِرٍ إليه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: وَلَلدَّار الآخرة خيرٌ لك مِن دار الدُّنيا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (وَلَلدَّار الآخرة خيرٌ لك من دار الدُّنيا)، هذه الخيريَّة هي من باب أَفْعَل التَّفضيل، فقوله: (﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾): أي أَخْيَر لك.

والمراد بـ(أفعل التَّفضيل) هنا: أي هي أعظمُ خيرًا لك مِن دار الدُّنيا.

وقولهم: (خيرٌ، وشَرٌّ) هما من باب (أَفْعل التَّفضيل)؛ فأصلُهما: (أَخْيَرُ، وأَشَرُّ)، فإذا قُلتَ: (فلانٌ خَيْرُ النَّاس) أي أَخْيَرُهم، وإذا قلتَ: (فلانٌ شَرُّ النَّاس) أي أَشَرُّهم.

لكنَّ العربَ لكثرةِ استعمالِهم هاتين الكلمتين في التَّفضيل سَهَّلُوهما بإسقاط الهَمزة (الألف)، وإلى ذلك أشار ابن مالكٍ في «الكافية الشَّافية» بقوله:

وَغَالِبًا أَغْنَاهُمُ خَيْرٌ وشَرّ ... عَنْ قَوْلِهِمْ: (أَخْيَرُ مِنْهُ وَأَشَرّ)

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿فَـَٔاوَىٰ﴾: فَضَمَّك إلى مَنْ يَكفُلُك، وَجَعَل لك مَأوًى تَأْوِي إليه.

﴿ضَآلًّا﴾: لَا تَدْري مَا الكتاب ولا الإيمان.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ الضَّلال الَّذي جُعِلَ وَصْفًا للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معناه: (لَا تَدْري مَا الكتاب ولا الإيمان)؛ أَخْذًا من قوله سبحانه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشُّورى:٥٢]؛ أي كنتَ غافلًا عَمَّا يُراد بك من إنزال الكتاب عليك وأَمْرِك بدين الإسلام المُشتمِل على الإيمان.

ومُتابعةُ خبَر القرآن فيما يتعلَّق بالجَنَاب النَّبويِّ أكمل وأَتْقَى مِن أَنْ يَتَجَرَّأ العبد على تَفْنِين الكلام في أشياءَ من الضَّلالِ يذكرُها تفسيرًا لهذه الآية.

والكلام عن الجَناب النَّبويِّ والمَقام المُحَمَّديِّ يُسلَك فيه الأدبُ، ومِن الأدب: الاقتصارُ على خطاب الشَّرعِ فيما تَعَلَّق بِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعَدمُ جَعْلِه مادَّةً للإنشاء، بأَنْ يبتدئَ العبدُ ما شاءَ من الكلام عمَّا يتعلَّق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقوله تعالى: (﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾) لا ينبغِي أَنْ يُرسِل المُتكلِّم لسانَه بالقَوْل في بيانِ الضَّلال المذكور بغير ما جاء في القرآن الكريم في قوله: ﴿مَا كُنتَ

تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشُّورى:٥٢]، فهذا هو الأمر الَّذي كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ غافلًا عنه، فَهَداه الله عَزَّوَجَلَّ إليه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿فَهَدَىٰ﴾: فَدَلَّك وأَرشدَك.

﴿عَآئِلًا﴾: فقيرًا.

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾: فلا تغلِبْه مُسِيئًا مُعاملتَه.

﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾: فلا تَزْجُر.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(الهِداية) المذكورةُ هنا في قوله: (﴿فَهَدَىٰ﴾) وَقَعَت خَبَرًا.

أَمَّا (الهِداية) المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ فوقعت طَلَبًا.

فقولُك: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾، تسأل اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يهديك الصِّراطَ المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ أي وَجَدَك غافلًا عمَّا يُراد بك فدَلَّك وأرشدك إليه.

و(الهِداية) المُنعَم بها نوعان:

- **أحدهما**: هداية بيانٍ وإرشادٍ.
- **والآخر**: هداية توفيقٍ وسَدادٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

معاني سورة الشَّرح

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح].

﴿وَوَضَعْنَا﴾: وَحَطَطْنا.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (وَحَطَطْنا)؛ أي أَسْقَطْنا، فـ (الحَطُّ): الإسقاط.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿وِزْرَكَ﴾: ذنبَك.

﴿أَنقَضَ﴾: أَثْقَلَ.

﴿ٱلْعُسْرِ﴾: الشِّدَّة.

﴿يُسْرًا﴾: سهولةً.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾: فإذا فَرَغتَ مِن عَملٍ بإتمامِه فأَقْبِلْ على عَمَلٍ آخر.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المُصنِّف في معنى (العُسر، واليُسر) هو المُراد في الآيتين في قوله: (﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾)؛ أي فإنَّ مع الشِّدَّة سهولةً، إنَّ مع الشِّدَّة سهولةً.

والمراد بـ (العُسر): الشِّدَّة الَّتي كان يلقاها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأُخبِرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَنَّ كُلَّ شِدَّةٍ تُحِيط به فقد جَعَلَ الله عَزَّوَجَلَّ معها يُسرًا؛ أي سهولةً.

والبِشَارة بِهذا تُهَوِّن على العبدِ الشِّدَّةَ؛ فَمَا يَعْتَري العبدَ مِن شِدَّةٍ تَلْحَقُه تَهُون عليه مع تصديقِه بخَبر الله أَنَّ كُلَّ شِدَّةٍ تَمَسُّه سيُحيطُها الله عَزَّوَجَلَّ بسهولةٍ منه.

فالحاجُّ – مثلًا – يَتَخَوَّفُ العُسرَ الَّذي يلقَاه في حَجِّه؛ فإذا أَقبلَ على مناسكِه بدينٍ ويقينٍ، واستحضَرَ شهودَ أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي أَمَرَه بالحَجِّ سيُعينُه عليه = هَانَ ما يَلْقَاه من المَشَقَّة في الحَجِّ وانقلَبَتْ إلى يُسرٍ؛ فَوَجَدَ تَلَذُّذًا بأعمال الحَجِّ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة التِّين

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التِّين].

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾: الطُّور: الجَبَل. وسِينين: لغةٌ في سِيناء، وهي صحراءُ بين مِصرَ وبلادِ فلسطينَ.

﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: مَكَّة المُكَرَّمة؛ لِأَمْنِ النَّاس فيها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المُصنِّف - وَفَّقه الله- في تفسير هاتين الآيتين أَنَّ المُرادَ بِهما موضعان:

فـ(طور سينين) هو جَبَل سِيناءَ، الصَّحراء المعروفة بين مصرَ وفلسطين.

و(البلد الأمين) هو مَكَّةُ المُكَرَّمة؛ سُمِّي (أمينًا) لأَمْن النَّاس فيها.

وتفسير الآيتين الثَّانية والثَّالثة بإرادة موضعين يَدُلُّ على أَنَّ المراد في الآية

الأُولَى مَوضِعٌ أيضًا.

فقوله: (﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾) لا يُرَاد به مُجَرَّدُ تَيْنِك الشَّـــجرتين، بل المُراد: الموضع الَّذي تَنْبُتُ فيه شجرة التِّين والزَّيتون، وهي بلاد فلسطين؛ فإِنَّ أكملَ ما في الأرض من التِّين والزَّيتون وأحسَنَه هو ما في بلادِ فِلسطين.

فالمذكور في هذه الآيات الثَّلاثِ مواضعُ:

- ✓ **فالموضع الأَوَّل**: هو فلسطين؛ في الآية الأُولى.
- ✓ **والموضع الثَّاني**: هو صحراء سيناءُ بينَ مصرَ وفلسطين.
- ✓ **والموضع الثَّالث**: مَكَّةُ المُكَرَّمة.

وذُكِرَت هذه المواضـــع الثَّلاث لأَنَّها أرضُ أكثر الأنبياء؛ ففيها نُبُوَّةُ جَمٍّ غفِيرٍ من الأنبياء الَّذين أرسلَهمُ الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي غيرها مِن الأرض نُبُوَّةُ بعضِـهم؛ كَنُبُوَّة هودٍ في بلاد الأحقافِ جهة اليمن، ونُبُوَّة إبراهيمَ في بلاد بَابِل من أرض العراق.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: في نار جَهَنَّمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

فَسَّر المُصنِّف – وَفَّقه الله – (﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾) بأَنَّه الرَّدُّ إلى (نارِ جَهَنَّم)؛ لِمَا فيه من مقابلة الامتنان في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ٤﴾).

فأكملُ ما يُقابِل امتنانَ الله عَزَّوَجَلَّ على الإنسان بأَنَّه خُلِقَ في أحسنِ تقويمٍ: هو تخويفُه مِن أَنْ يَرُدَّه الله عَزَّوَجَلَّ إلى أسوأ حالٍ؛ وهي الحالُ الَّتي يكون عليها مَنْ يدخل نارَ جَهَنَّمَ – أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك.

والخَلْق الواقع على أحسنِ تقويم الَّذي جُعِلَ عليه الإنسان نوعان:

- **أحدهما**: خَلْقُه في أحسن تقويمٍ في الباطنِ؛ بالفِطْرة على التَّوحيد.
- **والآخر**: خَلْقُه في أحسَنِ تقويمٍ في الظَّاهِر؛ بما جَعَله الله عَزَّوَجَلَّ عليه مِن صورةِ بَدَنِه الظَّاهرة.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غيرُ مَشُوبٍ بكَدَرِ المَنِّ، ولا يلحقه الانقطاع.

﴿بِٱلدِّينِ﴾: بالحساب والجزاء على الأعمال.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المُصنِّف في تفسيرِ قوله تعالى: (﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾) يَدُلُّ على أَنَّ نَفْي المَنِّ جامعٌ أمرين:

✓ **أحدهما**: نَفْيُ شَوْبِ - يعني خَلْطِ - الأجرِ بِكَدَرِ **المَنِّ**؛ وهو إظهارُ الإنعامِ مع إبطال استحقاق الإكرام.

فيُظهِر وصولَ النِّعمة عليك، ويذكر أَنَّكَ غيرُ مُستحِقٍّ لها؛ وهذا لا يكون مِن الله؛ بل الله عَزَّوَجَلَّ يُظهِر إنعامَه، ويُبَيِّن أَنَّ المُنعَم عليهم به مُسْتَحِقُّون له؛ قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقَّة]، وقال: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الطُّور].

✓ **والآخر**: نَفْي انقطاع الأجر وزَواله.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

معاني سورة العلَق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق].

﴿عَلَقٍ﴾: جَمْع عَلَقةٍ؛ وهي القطعة من الدَّمِّ الغليظ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المُصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ تفسير (﴿عَلَقٍ﴾) في قوله: (﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾): أَنَّه (جَمْع عَلَقةٍ؛ وهي القطعة من الدَّمِّ الغليظ).

فالدَّم إذا غَلُظَ وصار في قطعةٍ مُتماسكةٍ سُمِّي (عَلَقةً).

وأَصْلُ خِلْقة الإنسان مِن عَلَقةٍ واحدةٍ، وجُمِعَ في قوله: (﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

﴿٢﴾) لأمورٍ ثلاثةٍ:

- **أَوَّلُها**: إظهار الامتنان.
- **وثانيها**: باعتبار تَتَابعِها وتَكاثُرها بعد تَفَرُّدها؛ فتكون واحدةً ثُمَّ تَتكاثَر.
- **وثالثها**: باعتبارِ إرادة الجِنس في قوله: (﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾)؛ فيُقابَل الجِنْسُ بالجَمْع؛ فتقديرُ الآيةِ: (خَلَقَ اللهُ النَّاسَ مِن عَلَقٍ)؛ فالمجموع مُقابَلٌ بالمجموع، وكُلُّ واحدٍ مِن هؤلاء النَّاس إنسانٌ مخلوقٌ مِن عَلَقةٍ واحدةٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿بِٱلْقَلَمِ﴾: بالخَطِّ والكتابة.

﴿لَنَسْفَعًا﴾: السَّفْع: القَبْضُ الشَّديد بجَذْبٍ.

﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: بمُقَدَّم شَعْرِه.

﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: هُم ملائكة العذاب، سُمُّوا (زبانية) لأَنَّهم يَزْبُنُون أهلَ النَّار؛ أي يدفعونَهم بشِدَّةٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: بمُقَدَّم شَعْره)؛ أي أعلى الشَّعر الَّذي يكون تاليًا الجَبهةَ.

وجُعِل أَخْذُه بالنَّاصية في قوله: (﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾)؛ لأَنَّ مُقَدَّمَ الإنسان هو أَعَزُّ ما عليه؛ فالحُرُّ يَأْبى أَنْ يُؤخَذَ به؛ لِمَا فيه من الإهانة. فإِنَّك إذا أخذتَ أحدًا مِن مُؤَخَّر رأسِه لم يكن كأَخْذِك له من مُقَدَّم رأسِه؛ فالثَّانِي فيه من الإذلال والإهانة ما ليس في الأَوَّل.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة القَدْر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر].

﴿ٱلْقَدْرِ﴾: الشَّرَفُ العظيم.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾: هو جبْريلُ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بِأَمْره.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

فَسَّر المصنِّف - وَفَّقه الله - (﴿وَٱلرُّوحُ﴾) بقوله: (هو جبريل)، فكيف يكون ذلك والله يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] !؟

والجَمْع بينهما بأَنْ يُقال: إنَّ (الرُّوح) يقع في كلام الله على معانٍ؛ فهو وَقَعَ تارةً بمعنى (جبريل)، فهو يُسَمَّى (رُوحًا)، وَوَقَع بمعنى (النَّفس) الَّتي هي سِرُّ

الحياة في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ﴾ أي يسـألونك عن النَّفس التي هي سِـرُّ الحياة، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥].

وهذا يُسَمَّى بـ (الوُجوه والنَّظائر):

- **فـ (الوجوه)**: المعاني المُتَعَدِّدة للكلمة الواحدة.
- **و(النَّظائر)**: الآيات الواردة في معنًى واحدٍ من تلك المعانِي.

فمثلًا: مِن معاني (الرُّوح): جبريل؛ قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر:٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ [النَّبأ:٣٨]؛ فهذه الآيةُ وهذه الآية تُسَمَّى (نَظائرَ)؛ لأَنَّ (الرُّوح) فيهما بمعنى (جبريل).

وكذا ما كان في معناهما.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة البيِّنة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة].

﴿مُنفَكِّينَ﴾: زائِلين عمَّا هُم عليه تاركِين له.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المُصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ المراد بـ(الانفكاك): زَوالُهم عمَّا هُم عليه مِن دينٍ وتَرْكُهم له.

فمعنى الآية: (لن يكونَ الَّذين كفَرُوا مِن أهل الكتاب والمشـرِكِين زائلِين عن دينِهم تاركِين له حَتَّى تأتيَهم بَيِّنَةٌ)؛ فإذا أَتتهم البَيِّنة حَصَـلَ انفكاكُ أولئك عن دينِهم وزوالُهم عنه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿مُّطَهَّرَةً﴾: مُنَزَّهةً عن كُلِّ ما لا يَلِيق.

﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصـنِّف – وَفَّقه الله– أَنَّ معنى (﴿قَيِّمَةٌ﴾ : مسـتقيمةٌ)؛ فقوله: (﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾): أي كُتُبٌ مستقيمةٌ، أي مجعولةٌ على وَجْه الاستقامة.

فإذا قيل: (كتابٌ قَيِّم): أي مستقيمٌ مُوافِقٌ للحَقِّ.

وأَمَّا الجاري في كلام المتأخِّرين من قولهم: (كتابٌ قَيِّم: أي له قيمةٌ) فهذا معنًى لا تعرفه العرب في كلامِها؛ فـ(**القَيِّم**) **عند العرب**: المستقيم المُوافِق للحَقِّ، لا ذو القِيمة الَّذي له قيمةٌ رَفَعَتْه عن غيره، فإِنَّهم لا يجعلون (القَيِّم) بمعنى (ذا القِيمَةِ).

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: قاصِدِين بعبادتِهم وَجْهَه؛ فالإخلاصُ هو تَصفية القلب من إرادةِ غير الله.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف – وَفَّقه الله – هنا حقيقة (الإخلاص) شرعًا في قوله: (هو تَصفية القلب من إرادة غير الله)؛ فمَدار (الإخلاص) على هذا المعنى، وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

إِخْلَاصُنَا للهِ صَفُّ الْقَلْبَ مِنْ ... إِرَادَةٍ سِوَاهُ فَاحْذَرْ يَا فَطِنْ

فلا يتحقَّق الإخلاص في قلبِ العَبد إِلَّا إذا صَفَّى قلبه من إرادة غير الله.

فالحَاجُّ – مثلًا – لا يكون مُخلِصًا لله في حَجِّه حَتَّى يُصَفِّيَ قلبه من إرادة غير مَرضاة الله في حَجِّه؛ فهو لا يَحُجُّ للرِّئاسة، أو للشُّهرة، أَوْ أَنْ يُلَقَّب بلقب (الحَاجِّ)، أو للدُّنيا، أو للسَّفَر والسِّياحة فقط؛ بل مقصودُه في حَجِّه: التَّقَرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأداء هذه العِبادة الَّتي جَعَلها مِن شعائر دينه.

قَالَ المُصَنِّفُ وفَّقَهُ اللهُ:

﴿حُنَفَآءَ﴾: مُقبِلِين عليه، مائلين عمَّا سواه.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ما ذَكَره المصنِّف في تفسيره قوله: (﴿حُنَفَآءَ﴾) يُبَيِّن أَنَّ **الحَنَفَ** هو الإقبال على الشَّيء، وأَمَّا (المَيْل): فهو لَازِمه.

فالدِّين يُسَمَّى (حنيفًا) لِمَا فيه من الإقبال على الله.

ويُقال للرَّجل: (أحنفُ) إذا أقبلَتْ إحدى قَدميه على الأُخرى، فإذا أَقْبلَت تَداخُلًا إِحدى القَدَمين على الأُخرى قِيل: (رَجُلٌ أَحْنَف).

ولا يُفَسَّر (الحَنَفُ) بـ (المَيْل) ابتداءً، وإِنَّما هو لَازِمُه؛ فإِنَّ الشَّيء إذا أُقبِلَ عليه مِيلَ عمَّا سِواه.

فإذا أقبلَ على الله مَالَ عمَّا سِواه، وإذا أَقبل على التَّوحيد مَالَ عن الشِّرك، وإذا أقبل على السُّنَّة مال عن البِدعة، وإذا أَقبلَ على المعروف مَالَ عن المُنكر، وإذا أقبلَ عن الأمر مَالَ عن النَّهي.

فالمُفَسِّرون لـ (الحَنَف) لهم عبارتان:

- **إحداهما**: (الحَنَفُ: الإقبالُ).

- **والأخرى**: (الحَنَفُ: المَيلُ).

والصَّحيح من العبارتين: الأُولَى؛ فـ(الحَنَف) هو الإقبال، و(المَيل) لَازِمٌ له.

والكلمة تُفَسَّر في لسان العرب بحقيقة ما وُضِعَت له، لا بِلَازِمها.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: دين الكُتُب المُستقيمة، وهو الإسلام.

﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾: الخَلِيقَة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: جَنَّات إقامةٍ لا يَتَحَوَّلون عنها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾) أي دين الكُتب القَيِّمة (أي المستقيمة) الَّتي نَزَلَتْ مِن الله على رُسُل الله، ففي الكلام حَذْفٌ.

وهذا الدِّين الَّذي في الكُتب المستقيمة هو دين الإسلام.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الزَّلزلة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزَّلزلة].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾: رُجَّت رَجًّا شديدًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (رُجَّت رَجًّا شديدًا): **الرَّجُّ**: التَّحريك والهَزُّ.

والزَّلزلة الَّتي تقع في الأرض نوعان:

- **الأَوَّل**: زلزلةٌ في جهةٍ من جهاتِها.
- **والثَّاني**: زلزلةٌ في جميع جِهاتِها.

فالنَّوع الأَوَّل: هو كُلُّ زلزلةٍ قبل يوم القيامة.

والنَّوع الثَّاني: لا يقع إِلَّا مَرَّةً واحدةً، تَقْدُمةً ليوم القيامة.

فالزَّلازل الَّتي تكونُ في الحياةُ الدُّنيا لا يجيءُ شيءٌ منها عَامًّا؛ بل يقع في جهةٍ دون أخرى.

وأَمَّا الزَّلزلة الكُبرى الَّتي تكون يوم القيامة: فَتَعمُّ الأرضَ جميعًا.

وجُعِلَت الزَّلازل الَّتي تكون في الأرض قبل يوم القيامة؛ تنبيهًا على الزِّلزال الأعظم قبل يوم القيامة بالتَّذكير والوَعْظ والإرشاد؛ فأيُّها المَمْسُوسون بالزَّلزلة هنا أو هناك: اعْلموا أَنَّكم تَقدُمون على زَلزلةٍ أعظمَ هي زلزلة يوم القيامةِ؛ فينبغي أَنْ تَتَّعظوا وتعتبِروا.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿أَثْقَالَهَا﴾: ما تَثْقُل به مِمَّا في بطنها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف - وَفَّقه الله - في تفسير قوله تعالى: (﴿أَثْقَالَهَا﴾: ما تَثْقُل به) أي ما يكون ثِقَلًا فيها (مِمَّا في بطنها) أي في جَوْف الأرض.

ولم يُفَسِّره بقوله: (ما تَثقُل به مِن المَوتى)؛ لأَنَّ ما تَثقُل به الأرضَ لا يَخْتَصُّ بالموتى؛ بل كُلُّ ما في الأرض هو مِمَّا يُعَدُّ مِن أثقالها.

فمثلًا: مِمَّا في باطنها: الكُنوز على اختلاف أنواعِها؛ مِن ذَهَبٍ، أو فِضَّةٍ، أو نِفْطٍ، أو غازٍ، أو غير ذلك باعتبار اختلاف الأعصَار والأحوال.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: يُقْبِلون إلى المَوقِف والحساب.

﴿أَشْتَاتًا﴾: أصنافًا مُتَفَرِّقين.

﴿ذَرَّةٍ﴾: هي النَّملة الصَّغيرة.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – أَنَّ الذَّرَّة هنا (هي النَّملة الصَّغيرة).

فقوله: (﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾): أي مِثقال نملةٍ صغيرةٍ مِن خيرٍ فإِنَّه يَراه، ومَنْ يعمل مِثقالَ تلك النَّملة الصَّغيرة مِن شَرٍّ فإِنَّه يراه.

ولم يُفَسِّره بأَنْ يقول: (الذَّرَّة هي الوَحدة المعروفة الَّتي تتكَوَّن منها المادَّة)؛ فإِنَّ (الذَّرَّة) في عُرْف المتأَخِّرين مِن أهل المعارف الدُّنيوِيَّة هي وَحدةٌ للمادَّة؛ فعند هؤلاء يكون قوله: (﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾): أي مثقالَ تلك الوَحْدة من المَادَّة من خيرٍ أو شَرٍّ فإِنَّه يراه.

والصَّحيح: تفسيرُ (الذَّرَّة) بقولِنا: (النَّملة الصَّغيرة)؛ لأَنَّ القرآن عَربيٌّ، و(**الذَّرَّة**) **في كلام العرب**: النَّملة الصَّغيرة، ولا تعرف العرب (الذَّرَّة) بمعنى الوَحدة الدَّقيقة المُكَوِّنة للمَادَّة، وإِنَّما هذا اصطلاحٌ حادِثٌ.

ومِن قواعد تفسير القُرآن - خَاصَّةً - **والخطابِ الشَّرعيِّ** - عامَّةً -: أَنَّه لا يُفَسَّر بالمصطلح الحادِث؛ لأَنَّ كلامَ الشَّرع أعلَى وأعظمُ وأَسْبَقُ مِن هذه الاصطلاحات الحادِثة.

فمثلًا: قوله تعالى: ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾[الأنعام:٧٦]: لا يصحُّ أَنْ نَقُولَ: (الكَوكبُ هو جِسْمٌ فَلَكِيٌّ مُعْتِمٌ غيرُ مُضِيءٍ)؛ لأَنَّ هذا اصطلاحٌ حادِثٌ.

ومِن الخطأ الواقع كثيرًا: تفسيرُ خطاب الشَّرع - ولا سِيَّما القرآن - بالمصطلحات الحادِثة؛ فإِنَّ القرآنَ عربيٌّ، ولا يُفَسَّر إِلَّا بما تعرفه العرب في لسانِها.

وما تعرفه العرب في لسانِها هو أعظمُ مِمَّا يَدَّعيه المُتأَخِّرون في معارفهم.

فمثلًا: قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾[الانشقاق] معناه في كلام العرب: لتَركَبُنَّ مُتَحوِّلين مِن حالٍ إلى حالٍ، فتُنَقَّلون مِن حالٍ إلى حالٍ؛ فمِن حالِ الصِّحَّةِ إلى حالِ المرضِ، ومِن حال القُوَّة إلى حال الضَّعف، ومِن حال القُدرة إلى حال العَجز، ومِن حال السُّرور إلى حال الحُزْن. وكذا مُقابِلُها؛ فمِن حال الحُزن إلى السُّرور، ومن الضَّعف إلى القُوَّة، ومِن المَرض إلى الصِّحَّة، ومن العَجْز إلى القُدرة.

وأَمَّا المُتَأَخِّرون: فيزعُم زاعمُهم أَنَّ المرادَ بقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾[الانشقاق]: اختلاطُ طَبقات الجَوِّ، وأَنَّ الجَوَّ واقعٌ على طبقاتٍ مختلِفَةٍ؛ فإذا

خَرَجَ من طبقةٍ جَوِّيَّةٍ انتقلَ إلى أُخرَى، وإذا خَرَج مِن طَبقةٍ جَوِّيَّةٍ خَرَج إلى ما بعدَها؛ فإِنَّ هذا المعنى ليس أعظمَ في قلوبِ العَارِفِين بمعانِي كلام العرب عَامَّةً وبالقرآن خاصَّةً من المعنى الَّذي ذكرناه أوَّلًا.

فالمعنى الَّذي يذكرونَه هو بعض ذلك المعنى.

والمعنى الَّذي نجده فيما ذَكَرَتْه العربُ أَشَدُّ تأثيرًا في النُّفوس؛ فأنتَ الآن في حال فَرَحٍ وكُنتَ قبلَ مُدَّةٍ في حالِ حُزْنٍ وتَخَوُّفٍ أَنْ يَفُوتَك الحجُّ، فنَقَلَك الله مِن حال الحُزن إلى حالِ الفَرَح والسُّرُور، وكنتَ يومًا مَا تَشْكُو مِن عِلَّةٍ ومَرَضٍ، فأخرجها الله مِن بَدنك وسَلَّها منك كأَنْ لم يَمَسَّك شيءٌ، وكُنت قَبْلُ عاجزًا عن أَكْل الطَّعام لا تستطيع إِلَّا شُرْبَ الحليب، فَنَقَلك الله مِن ذلك وهَيَّأ لك من أسباب القُوَّة في بدنك باطنًا وظاهرًا ما يُيَسِّرُ لكَ أَكْلَ أنواعٍ مختلِفةٍ من الطَّعام؛ فهذا أَشَدُّ عَجَبًا، وأعظَمُ تأثِيرًا، وأَصْدَقُ خَبَرًا، وأكملُ يقينًا، مِمَّا يذكرُه هؤلاء مَشْدُوهين مِن هذه المعارف المتأخِّرة.

لكنَّ الشَّأنَ: في معرفة معانِي كلام العربِ، والانتفاعِ بذلك في تفسيرِ كلام الله، وشهودِه بالقلوب.

فلمَّا صار هؤلاء آخذِين بالعلوم الظَّاهرة اغْتَرُّوا بِها، وظَنُّوا أَنَّ فيها من المعارف والعُلُومِ ما ليس في المعارف الموجودة في كلام رَبِّنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مِمَّا تعرفه العرب في لسانِها.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة العاديات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات].

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١﴾: أي العَادِيات عَدْوًا بليغًا قَوِيًّا يَصْدُر عنه الضَّبْحُ، وهو صَوْتُ نَفَسِها في جَوْفِها عند اشتداد عَدْوِها.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢﴾: المُوقِدات بحَوَافرهِنَّ ما يَطَأْنَ عليه مِن الأحجار؛ فَتقدَحُ النَّارُ ويَتَوَقَّد شَرَرُها مِن ضَرْب حوافرهِنَّ إذا عَدَوْنَ، والمُراد بِها: الخيل.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المصنِّف في الآية المُتَقَدِّمة: (﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١﴾) فيه أَنَّ **الضَّبْح**: اسْمٌ لِمَا يَتَرَدَّد في جَوْف الخَيلِ من النَّفَس؛ فبَنُو آدم يُسَمَّى في حَقِّهم (شهيقًا) و(زَفيرًا)، وفي الخَيل يُقال: (ضَبْحٌ).

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾: المُباغِتات الأعداءَ بما يُكرَه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾: المُباغِتات الأعداءَ بما يُكرَه)؛ أي في الصَّباح؛ وَقَيَّد المُباغتة بـــ(الصُّبح) لأَنَّه الأغلب؛ فالأغلب: شَنُّ الغارة في الصَّباح؛ وكانت هذه حُروب الأوائل.

أَمَّا المُتَأَخِّرون: فالأصل في حروبِهم: شَنُّ الغارة في اللَّيل [1]؛ لأَنَّ آلةَ الحَرب عند العرب وغيرِهم - من الرُّوم والفُرس - كانت: الخيل والرَّاجلة؛ فكانت حربًا بَرِّيَّةً أرضِيَّةً، وهذه أنفع ما تكونُ في الصُّبح.

وأَمَّا المُتَأَخِّرون: فعامَّةُ أسلحتِهم: أسلحةٌ جَوِّيَّةٌ؛ وهذه أنفعُ ما تكون إذا كانت ليلًا.

فلمَّا اختلفت عُدَّةُ الحربِ اختلَف وَقْتُها.

---

(١) سأل الشَّيخُ الطَّلبةَ عن علَّة هذا، فذكر أحدُهم أنَّ حروب الأوائل كانت في الصَّباح لأنَّهم لا يغدرون. فقال الشَّيخ:

هذا كلام غير طَيِّبٍ؛ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّت قومًا؛ يعني أَخَذهم في اللَّيل.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾: فَهَيَّجْنَ وأصعَدْنَ بِعَدْوِهِنَّ وغارتِهنَّ.

﴿نَقْعًا﴾: غُبَارًا.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: أي تَوَسَّطْنَ بِرَاكبهنَّ.

﴿لَكَنُودٌ﴾: لَكفورٌ بنعمة رَبِّه.

﴿ٱلْخَيْرِ﴾: هو المال.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف - وَفَّقه الله - أَنَّ (الخير) في قوله تعالى: (﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾) هو (المال)؛ فالعبد يُحِبُّ المالَ حُبًّا شديدًا، كما ذَكَره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الفجر.

و(المال) يُسَمَّى (خيرًا)؛ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة:١٨٠]؛ يعني مالًا.

و(**الخير**): اسمٌ لِمَا يُرَغَّب فيه شرعًا وعُرْفًا.

وهو نوعان:

- **أحدهما: الخيرُ المُطلَق**؛ ومَحَلُّه: الأمور الدِّينيَّة؛ كالصَّلاة، وبِرِّ

الوالدين، والإحسان إلى الجار.

- **والآخر: الخير المُقَيَّد**؛ ومَحَلُّه: الأمور الدُّنيوِيَّة؛ كالزَّوجة، والأولاد، والمال.

فإِنَّها تكون تارةً خيرًا، وتكون تارةً شَـــرًّا؛ فإذا كانت مُعِينةً على طاعة الله فهي خيرٌ، وإذا كانت مُعينةً على معصيته فهي شرٌّ؛ فتُعَدُّ خَيرًا مُقَيَّدًا لا مُطلقًا.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة القارعة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة].

قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: مِن أسماء يوم القيامة؛ لأنَّها تَقْرَع قلوبَ النَّاس وتُزعِجُهم بأهوالها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (مِن أسماء يوم القيامة): (مِنْ) للتَّبعيض؛ فأسماءُ يوم القيامة كثيرةٌ، ومن جُملتها: القارعة.

وكُثِّرَت أسماء يوم القيامة؛ تعظيمًا له؛ فإنَّ العربَ إذا عَظَّمت شيئًا كَثَّرت أسماءَه.

ولَمَّا كان الله عَزَّوَجَلَّ أعظمَ مُعَظَّمٍ، كان له مِن الأسماء ما لا يُعلَم؛ فمِن أسمائه: ما أخبَرنا به، ومن أسمائه: ما استأثَرَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به في عِلْم الغيب عنده، ومنها: ما اسْتَأْثَر به مَنْ شاء مِن خَلْقِه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: الفَراش: فَرْخُ الجَراد حين يخرُج مِن بَيْضِه، يَرْكَب بعضُه بعضًا. والمَبْثُوث: المنتشِر.

﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: كالصُّوف المُتَمَزِّقِ الَّذي فُرِّقَت بعض أجزائِه عن بعضٍ.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾: مَأْواه ومَسكَنُه النَّار، تكون له بمنزلة الأُمِّ الَّتي يَأْوِي إليها ويلزمُها.

﴿حَامِيَةٌ﴾: شديدةُ الحرارة مِن الوُقود عليها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (مِن الوُقود) هو بضَمِّ الواو، والمراد به: الإيقادُ.

وأَمَّا (الوَقود) بفَتْح الواو فالمراد به: ما تُسَعَّر به النَّار، أي تُوقَد به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[البقرة:٢٤]؛ أي تُسَعَّر وتُشعَل بالنَّاس والحجارة.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة التَّكاثُر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التَّكاثر].

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شَغَلَكُم عمَّا خُلِقْتُم له، وهو عبادةُ الله.

﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: التَّفاخُر بالكَثرة فيما يُرغَب فيه من الدُّنيا؛ كالنِّساء، والبنين، والأموال.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (فيما يُرغَب فيه من الدُّنيا؛ كالنِّساء، والبنين، والأموال): هذه أصول الأعيان المَرغوب فيها مِن الدُّنيا.

وقد جُمِعَت في آيةٍ واحدةٍ؛ وهي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾ [آل عمران:١٤]، فهذه سِتَّةُ أعيانٍ من أغراض الدُّنيا، جَعَل الله عَزَّوَجَلَّ مَحَبَّتَها فطرةً في قلوب الخَلْق؛ فالنَّاس مَفطُورون على حُبِّ هذه الشَّهوات.

[الشَّيخ]: هل يُلامُون على هذا أَمْ لا يُلامون؟

[طالبٌ]: لا يُلامون.

[الشَّـــيخ]: ما تقولُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾[مريم:٥٩]؟

[الجواب]: أَنَّ الَّـذي أَذِن الله فيـه: حُـبُّ الشَّـــهوات، والَّـذي حَرَّمـه: اتِّبـاعُ الشَّـــهوات؛ بأَنْ تكون حاكمةً على العبدِ قائدةً له، مؤتمِرًا بأَمْرِها؛ فهذا هو الَّذي يُلام عليه العبد ويُحَذَّر منه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: العِلْمَ الثَّابتَ في القلب.

﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: عِيانًا بأبصارِكُم.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف – وَفَّقه الله – في هذه الجملة معنى **مَرْتَبَتَيْن تتعلَّقان بـ (اليقين)**:

- **إحداهما**: عِلْم اليقين.
- **والأخرى**: عين اليقين.

والَّذي دَلَّ عليه القرآن: هو أَنَّ اليقينَ له ثلاثُ مراتبَ:

- **المرتبة الأُولى: عِلْم اليقين**؛ وهو العِلْم الثَّابت في القلب.
- **والمرتبة الثَّانية: عين اليقين**؛ وهو مُعايَنة ذلك بالبَصَر.
- **والمرتبة الثَّالثة: حَقُّ اليقين**؛ وهو مُلابَسةُ المَذكورِ فيها والمَصِيرُ إليه.

فمثلًا: (الجَنَّة والنَّار) تتعلَّق بِهما هذه المراتب الثَّلاث:

- فعِلمُنا بِهما الآن يُسَمَّى (عِلْمَ اليقين).
- ثُمَّ إذا أَقبلَ النَّاس عليهما ورأَوْهُما سُمِّي هذا (عينَ اليقين).
- فإذا انتهى أهل الجَنَّة إلى الجَنَّةِ وأهلُ النَّار إلى النَّارِ وصاروا فيها سُمِّي هذا (حَقَّ اليقين).

وقد أشرتُ إلى هذه المَراتب الثَّلاث بقولي:

يَقِينُنَا عِلْمٌ، وَعَيْنٌ شُهِرَا وَحَقُّهُ مِنْ بَعْدِ ذَيْنِ ذُكِرَا

فَعِلْمُهُ مُبَاشِرُ الْفُؤَادِ مُوَثَّقًا وَمُحْكَمَ الْإِيرَادِ

وَعَيْنُهُ: الْإِدْرَاكُ بِالْأَبْصَارِ وَحَقُّهُ: الْمَصِيرُ لِلْقَرَارِ

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة العصر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾: الوقتُ المعروفُ آخِر النَّهار قبل غروب الشَّمس.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف - وَفَّقه الله - أَنَّ العصرَ هو (الوقت المعروف آخرَ النَّهار قبل غروب الشَّمس).

وتفسيره به لأَنَّ اسمَ (العَصر) إذا أُطلِقَ في خطاب الشَّرع فالمُراد به هذا.

وهذا الإطلاق يُسَمَّى (لغةَ القرآن والسُّنَّة)؛ فـ(لغة القرآن والسُّنَّة) لغةٌ أَخَصُّ مِن (لغة العرب).

فمثلًا: (النَّفير) في كلام العرب: الانبعاث والانطلاق. وأَمَّا في لغة الكتاب والسُّنَّة: فالمراد به: الجهاد.

و(**العصر**) **مثلًا**: يقع في كلام العرب على معنًى واسعٍ وهو (الدَّهر). وأَمَّا في لغة الكتاب والسُّنَّة: فيقع على معنًى أَخَصَّ؛ وهو الوقت الكائن آخر النَّهار.

وما عُرِفَ أَنَّه لغة الكتاب والسُّنَّة، فُسِّر القرآنُ والسُّنَّة به.

فمثلًا: قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التَّوبة:١٢٢] الآيةَ، **اختلَفَ أهل العلم في تفسير هذه الآية على قولين:**

- **أحدهما**: أَنَّ النَّافرةَ هي المُجاهِدةُ، والقاعدةَ هي الطَّالبةُ العِلمَ.
- **والآخر**: أَنَّ النَّافرةَ هي الطَّالبةُ للعِلْمِ، والقاعدةَ هي المُجاهِدةُ.

والصَّحيح منهما: أَنَّ النَّافرةَ هي المُجاهِدةُ، والقاعِدةَ هي الطَّالبةُ للعِلْم؛ لأَنَّ اسم (النَّفير) في الكتاب والسُّنَّة يُراد به: الجِهاد؛ فالنَّافِرون هم الخارجون للجهاد.

وهذه قاعدةٌ نافعةٌ في فَهْم القرآن والسُّنَّة.

وأَقْسَم الله بـ (العصر) دونَ غيره لأَنَّ مُنتهى عَمَلِ هذه الأُمَّة بين الأُمم إليه؛ ففي «الصَّحيحين» من حديث ابن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ...**» الحديثَ.

فهذه الأُمَّة في الوقت باعتبار ما سَبَقها من الأُمم هي الكائنة في العصر، كما أَنَّ مَنْ تَقَدَّمها كائنٌ فيما سَلَف من النَّهار.

والأُمم عَددُها سبعون؛ ثَبَتَ هذا في حديث معاويةَ بن حَيْدةَ عند التِّرمذيِّ وغيره في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**».

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: أَمَرَ بعضُهم بعضًا به.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المُصنِّف في التَّواصي بالحقِّ (أَنَّه أَمْرُ بعضِهم بعضًا به): فيه إعلامٌ بعَظَمة المأمور به؛ لأَنَّ **الوصيَّةَ**: اسمٌ موضوعٌ شرعًا وعُرْفًا لِمَا عَظُم وشَرُفَ.

فمثلًا: أَنتَ تقول: (إذا خرجتَ إلى الحَجِّ يا ابني فلانٌ فأُوصيك بالصَّلاة، وبأُمِّك وبأخواتِك)، لكن يُستقبَح أَنْ تقولَ: (أُوصيك بِهذه النَّبتة ألَّا ينقطع عنها الماءُ!) وتترك الوَصيَّةَ بما هو أعظمُ مِن صلاةٍ وأهلٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الهُمزة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة].

﴿وَيْلٌ﴾: كلمةُ وعيدٍ وتَهديدٍ، تَتَضَمَّن الدُّعاءَ عليه بسوء الحال.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المصنِّف في تفسير (﴿وَيْلٌ﴾) هو المعروف في كلام العرب: أَنَّهم يُريدون بِها التَّهديدَ والوعيدَ.

أَمَّا المَرْوِيُّ أَنَّ (ويلًا: وادٍ في جَهَنَّمَ) فلا يصحُّ فيه حديثٌ.

والعربُ لها خمسُ كلماتٍ اتَّفقَت وَزْنًا ومعنًى تريد بِها التَّهديدَ والوعيدَ؛ وهي:

- وَيلٌ.

- وَيْحٌ.
- وَيْكٌ.
- وَيْبٌ.
- وَيْسٌ.

ولا سادسَ لها؛ ذَكَره ابن خَالَوَيْه في كتاب «لَيْس».

وأشرتُ إليه بقولي:

وَيْلٌ، وَوَيْحٌ، ثُمَّ وَيْكٌ، وَيْسُ وَيْبٌ: لِتَهْدِيدٍ تُقَالُ الْخَمْسُ

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: هو الَّذي يَهمِز النَّاسَ بفِعْلِه، ويلمِزُهم بقوله؛ **فالهَمَّاز**: مَنْ يَعِيب النَّاسَ، ويطعنُ عليهم بالإشـــارة. **واللَّمَّاز**: مَنْ يَعِيبُهم بقولِه، ويطعن عليهم بالعبارةِ.

والهُمَزة واللُّمَزة، والهَمَّاز واللَّمَّاز: للمُبالغة.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (ويطعن عليهم بالإشـــارة) أي بحركةٍ؛ بيدِه، أو بعينه، أو بلســـانه؛ فهذا يُسَمَّى (هَمْزًا). وأَمَّا (اللَّمز): فإِنَّه يكون بآلةٍ واحدةٍ وهي اللِّسان.

وقوله: (والهُمَزة واللُّمَزة، والهَمَّاز واللَّمَّاز: للمُبالغة) أي لتعظيم الفِعْل؛ فإِنَّ مِن طرائق العرب في التَّعظيم في كلامهم: مَجيءُ الكلمةِ على صِـــيَغٍ مُعَيَّنةٍ، تُعرَف عندهم بـ(صِيَغ المبالغة)، مثل: (فُعَلَةٌ، وفَعَّالٌ)، كـ(هُمَزَةٍ ولُمَزَةٍ، وهَمَّازٍ ولَمَّازٍ).

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: لَيُطْرَحَنَّ.

﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾: كثيرةُ الحَطْمِ والهَشْمِ لِمَا يُلقَى فيها.

﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾: المُسَعَّرةُ المُشعَلةُ بالنَّاسِ والحِجارةِ.

﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: تَنْفُذُ مِن الأجساد إلى القلوب فتُحْرِقُها. وأَلَمُ حَرْق القلوب أَشَدُّ مِن أَلَم غيرها؛ لِلُطْفِها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (تنفُذ من الأجساد) أي تخترق الأجسادَ.

فالنُّفوذُ: المُضِيُّ في الشَّيء؛ يُقال: (نَفِذَ فيه السَّهم) إذا مَضَى فيه ودَخَل بَدنَه أو خَرَقه وخَرَج منه.

ولا يُطلَق ذلك على انقضاء الشَّيء؛ فلا يُقال: (نَفِذَت الكتب، أو نَفِذ المال: يعني انقضى)؛ فإنَّه بِهذا المعنى يكون بـ (الدَّال).

فيُقَال:

- (نَفِذ في الشَّيء) إذا مضى.
- و(نَفِد الشَّيءُ) إذا انْقَضَى.

وذُكِرَ وصولُ عذاب النَّار إلى القلوب في قوله: (﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾) **لأمرين:**

❊ **أحدهما**: أَنَّ القلوبَ لطيفةٌ؛ فأَشَدُّ الأَلَمِ يكون بِحَرْقِها. **ومِن قواعد العذاب**: أَنَّ ما لَطُف رِقَّةً، اشتدَّ عذابًا؛ كالَّذي ذَكَره الله عنِ الجِلْد، وعن القلب؛ فإِنَّهما لَمَّا لَطُفا اشتدَّ عذابُهما.

❊ **والآخر**: أَنَّ القلبَ هو مَحَلُّ الإرادةِ والفِكْرِ؛ فمُبتدَأ وقوع الشَّرِّ – من كُفرٍ وبدعةٍ وفُسوقٍ – يكون مِن القلب؛ فهو المُستحِقُّ للعذابِ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ﴾: مُغلَقةٌ عليهم.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾: في أعمدةٍ طويلةٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (مُغلَقَةٌ عليهم): هذا الإغلاق أَشَدُّ مَا يكون؛ لأَنَّ **الإيصادَ** هو الإغلاق المُحكَم.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الفيل

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل].

﴿تَضْلِيلٍ﴾: تضييعٍ.

﴿أَبَابِيلَ﴾: جماعاتٍ مُتتابعةً مُتَفَرِّقةً.

﴿سِجِّيلٍ﴾: طِينٍ مُتَحَجِّرٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾: مُحَطَّمِينَ؛ كبقايا الزَّرع الَّذِي دخَلَتْه البهائمُ فَأَكلَتْه، ودَاسَتْه بأرْجُلِها، وطَرَحَتْه على الأرض، بعد أَنْ كان أخضرَ يانعًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذه السُّورةُ تَدُلُّ على مولد النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِمَا بينهما مِن التَّلازُم؛ فإنَّه في السَّنَة الَّتي كانت فيها حادثةُ الفيلِ، كان مولدُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجُعِلَت تلك الحادثة العظيمة توطئةً لمولد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأَنَّ العربَ تحفَظُ سِنِينَها بالوقائِعِ؛ فأُرِيدَ حِفْظُ السَّنَة الَّتي وُلِدَ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَل الله فيها هذه الواقعةَ الَّتي لا تُنْسَى.

فإذا قيل: متى وُلِدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قيل: إِنَّه وُلِدَ في (عام حادثة الفيل).

ولهذا؛ إذا سُـئِلتَ: أين في القرآن ذِكْرُ مولد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فالجواب: في سورة الفيل.

كما أَنَّ موتَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو في سورة النَّصر - كما سيأتِي.

وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

مَوْلِدُهُ فِي سُورَةٍ لِـــ (الْفِيلِ) وَمَوْتُهُ بِـــ (النَّصْرِ) فِي التَّنْزِيلِ

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة قريش

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش].

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾: ما لَزِمُوه واعتادُوه مع الأُنْسِ به.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف - وَفَّقه الله - أَنَّ معنَى قوله: (﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾) أي (ما لَزِموه) وكانوا مُلازِمين له، (واعتادوه) أي جَرَت عادتُهم به، (مع الأُنْسِ به)؛ فكانوا يفرحون بذلك الإِلْفِ الَّذي كانوا عليه.

فَاسْم (**الإِلْف**) فيه المَحَبَّةُ والرِّضَا.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ ﴾: لُزومُهم واعتيادُهم رحلةَ الشِّتاء إلى اليَمَنِ، والصَّيفِ إلى الشَّامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف - وَفَّقه الله - أَنَّ قريشًا لَزِمَت واعتادت رحلتين:

- **إحداهما**: الرِّحلة في الصَّيف إلى الشَّام؛ لأَنَّها تكون باردةً.
- **والأخرى**: الرِّحلة في الشَّتاء إلى اليمن؛ لأَنَّها تكون دافئةً في الشِّتاء.

والمراد بـ (اليَمن) هنا: اليَمَن الأسفلُ؛ وهي تِهَامةُ، لا اليَمَن الأعلى الَّتي هي الجِبال.

و(تِهامة) منطقَةٌ واسعةٌ، مقسومةٌ اليوم بين دولتين؛ هما المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، والجمهوريَّة اليَمنيَّة العربيَّة.

[مسألةٌ]: قريش ترحلُ في الشِّتاء إلى اليمن، وفي الصَّيف إلى الشَّام. والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحَلَ إلى الشَّام مَرَّتين؛ مَرَّةً مع عَمِّه، والأخرى: في تجارةِ خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع مَيْسَرة.

لماذا رَحَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشَّام، ولم يرحل إلى اليمن؟

[الجواب]: اتَّفقت رِحْلتُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشَّـــام دون اليمن لأمورٍ؛ منها ثلاثةٌ:

* **أَوَّلها**: لأَنَّها مَدْفَن أبيه إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والرَّجلُ إلى دارِ أبيه أَحَنُّ.

* **وثانيها**: أَنَّ الشَّامَ أرضُ أكثرِ الأنبياء؛ فهي أَوْلَى مِن اليَمن.

* **وثالثها**: أَنَّ الشَّـــامَ كانت قِبْلةَ مَنْ يُصَـــلِّي لله وهُم أهل الكتاب، وأَمَّا اليمنُ فكانت قِبلةَ مَنْ يعصِي أَمْرَ الله وهو أَبْرَهَةُ، لَمَّا بَنَى كعبةً في اليمن يُقال لها (القُلَّيْس) وأراد حَمْلَ النَّاس على التَّوجُّه إليها.

فلهذه الأمور اختارَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّفرَ إلى الشَّام، ولم يُسافِرْ قَطُّ إلى اليمن؛ لا في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الماعون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

﴿بِٱلدِّينِ﴾: بالحساب والجَزاء على الأعمال.

﴿يَدُعُّ﴾: يدفع بِعُنْفٍ وشِدَّةٍ.

﴿يَحُضُّ﴾: يَحُثُّ.

﴿سَاهُونَ﴾: لَاهُون؛ فلا يُؤدُّونَها في وَقتِها، ولا يُقِيمُونَها على وَجْهها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف – وَفَّقه الله – تفسيرَ قوله تعالى: (﴿سَاهُونَ﴾[الماعون:٥]) بأَنَّهم (لَاهُون)؛ أي مَشْغُولون عن الصَّلاةِ.

ثُمَّ فَسَّر لَهْوَهُم عنها بقوله: (لا يُؤدُّونَها في وَقتها، ولا يُقيمونَها على وَجْهها).

فالسَّهو عن الصَّلاة له صورتان:

- **الأُولى**: عَدَمُ أداء الصَّلاة في وَقتها.
- **والأُخرى**: عَدَمُ إقامتِها على وجهِها الَّذي أَمَرَتْ به الشَّريعة.

فهذان الأمران يُسَمَّيَان (سَهْوًا عن الصَّلاة).

وأَمَّا السَّهو في الصَّلاة: فهو الذُّهول عن شيءٍ منها.

والفَرْق بينهما:

- **أَنَّ (السَّهو عن الصَّلاة)** مذمومٌ مُعاقَبٌ عليه.
- **وأَمَّا (السَّهو في الصَّلاة)**: فهو مَعْفُوٌّ عنه لا عقابَ عليه؛ لأَنَّه حالٌ تغلِب العَبْدَ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿يُرَآءُونَ﴾: يُظهِرُون أعمالَهم الصَّالحةَ ليراها النَّاسُ فيحمَدُوهم عليها.

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: المَعُونَة بما ينفَع ولا يُمنَع عادةً؛ كالزَّكاة، ومَا لا تَضُرُّ إعارتُه مِمَّا يُستعَان به على عَمَل البيتِ مِن آنيةٍ وآلةٍ، ومنها: القِدْر، والدَّلْوُ، وما جرتِ العادةُ ببَذْله.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المصنِّف في معنى قوله تعالى: (﴿يُرَآءُونَ﴾) فيه بيانُ معنى حقيقة الرِّياء؛ فـ(**الرِّياء**): إظهارُ العبدِ عَملَه ليرَاه النَّاس فيحمَدُوه عليه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الكوثر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: هو نَهرٌ في الجَنَّة.

﴿شَانِئَكَ﴾: مُبغِضَك.

﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: المقطوعُ مِن كُلِّ خيرٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكَر المصنِّف – وَفَّقه الله –: أَنَّ (﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: هو نَهرٌ في الجَنَّة)، عُدُولًا عن تفسير جماعةٍ بأَنَّه (الخيرُ الكثير)؛ لأَنَّ تفسيرَه بـ(النَّهر) أعظمُ في بيانِ امْتِنَان الله على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإِنَّ نَهرَ الكوثَرِ له وحدَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَمَّا الخير الكثيرُ في الجَنَّةِ فهو لِكُلِّ مَنْ دَخَلها.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الكافرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

[الكافرون][1].

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾: لا أعبدُ ما تَعبدُون مِن الآلهة في المُسْتقبَل، كمَا أَنِّي لا أعبدُها الآن.

---

(١) أثناء الدَّرس كانت تصدُر أصوات الأشغال داخل الحرم بقوَّةٍ، فقال الشَّيخ للطلَّبة:

هذه الأصوات لا ينبغي أن تُثْنِي طالب العِلْم عن الحِرْص على العِلْم.

أبو الوليد الباجيُّ نَاظَرَ ابنَ حزمٍ، فقال له ابن حزمٍ بعد المناظرة مُعتذِرًا: (اعْذُر في العِلْم مَنْ طَلَبَه على مَشَاعِلِ الذَّهب)؛ يعني كان يُوقَد له مَشَاعِلُ مِن ذهبٍ؛ لأَنَّه كان ابنَ وزيرٍ، والدُّنيا تُشغِل عن العِلْم. فقال أبو الوليد: (اعْذُر مَنْ كان يطلب العِلْم في اللَّيل ولا مِشْعَل له)؛ يعني ليس عنده حَتَّى النُّور الَّذي يرى به.

فهذه العَوارض لا تجعلْها قاطعةً لك عن طَلَب العِلم؛ بل تحمِلُ الإنسانَ على أَنْ يجتَهِدَ.

بعض الإخوان يقول: (نُرِيدُ جَوًّا مُريحًا للعلم)؛ الجوُّ هو هذا الَّذي في قلبك، وليس الَّذي في الوُجود؛ هذه (الدُّنيا طُبِعَت على كَدَرٍ ** وأنتَ تُريدُها صَفْوًا من الأقذار والأكدار)؛ فالدُّنيا مطبوعةٌ على كَدرٍ، أهمُّ شيءٍ أن يكون جَوُّك القلبيُّ صافيًا.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾: قالَه للدَّلالة على الثَّبات في بَراءتِه مِن آلهتهم، وتَأْيِيسِهم مِن عبادتِه إيَّاها.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾: الَّذي رَضِيتمُوه، وهو الشِّرْك.

﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الَّذي رَضِيَه لي رَبِّي فَرَضِيتُ به، وهو الإسلام.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ المصنِّف - وَفَّقه الله - في تفسير الآية الأخيرة ما يَدُلُّ على الفَرْق بين الإضافتين:

- فقوله: (﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾) أُضِيف فيه (الدِّين) إلى المشركين.
- وقوله: (﴿وَلِيَ دِينِ﴾) أُضيف فيه (الدِّين) إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ففي قراءة يعقوبَ، مِن ياءات الإضافة عندَه هنا: ﴿وَلِيَ دِينِي﴾، بالتَّصريحِ بـ (ياء الإضافة).

والفَرْق بين الإضافتين:

- أَنَّ (دين المشركين) أُضِيف إليهم لأَنَّهم هُم الَّذين اختَرَعُوه.
- وأَمَّا (دين النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) فأُضِيف إلى الله عَزَّوَجَلَّ لأَنَّه هو الَّذي أَمَرَه به.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة النَّصر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النَّصر].

﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فَتْح مَكَّةَ.

﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعاتٍ تِلْوَ جماعاتٍ.

﴿تَوَّابًۢا﴾: يُوَفِّقُ الخَلْقَ للتَّوبة ويقبَلُها منهم.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ المصنِّف - وَفَّقه الله - في تفسير (التَّوَّاب): أَنَّه (يُوَفِّق الخَلْقَ للتَّوبة ويقبَلُها منهم).

فـ(تَوْبة الله على عِباده) تجمع أمرين:

✓ **أحدهما**: توفيقُهم إليها؛ فيحمِلُهم الله عَزَّوَجَلَّ على طَلَب التَّوبة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

✓ **والآخر**: قبولُها منهم إذا هُم تَابُوا.

فالله عَزَّوَجَلَّ مُتَفَضِّلٌ بِها ابتداءً، وانتِهاءً.

فهو يَتَفَضَّـــل بِها ابتداءً بتوفيقِهم إليها، وانتهاءً بقبولِها منهم؛ ذكره ابن تيميَّةَ الحفيد، وصاحبُه أبو عبد الله ابن القيِّم في «مدارج السَّالكين».

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة المَسد

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد].

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾: خَسِرَت يداه، وهو مِن أعمام النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف - وَفَّقه الله - أَنَّ معنى قوله: (﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾) أي (خَسِرَت يداه)؛ فهو إعلامٌ عن خسارته.

وأبو لهبٍ هذا من أعمام النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو أبو لهب بن عبد المُطَّلب ابن هاشمٍ.

وقيل: اسمه (عبد العُزَّى).

والمعروف: أَنَّ اسمَه كُنيتُه؛ وهي (أبو لهبٍ).

والكُنية عند العرب يُرادُ بها التَّعظيم؛ ولذلك إذا خَاطَبتَ مُعَظَّمًا لم يكن لائقًا أَنْ تُبادِرَه بِاسْمه، وإِنَّما بِكُنيته.

وإذا أخبَرْتَ عن نفسك: فاللَّائق بك أَنْ تُخبِرَ بِاسْمَك لا بِكُنيتك؛ لأَنَّ خَبرَك بالكُنية تعظيمٌ لها، وهو مَكروهٌ.

[مسـألةٌ]: إذا كانت الكُنية للتَّعظيم، فلماذا ذَكَره الله بالكُنية في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾؟ ولم يقل: (تَبَّت يدا عَمِّ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟

[الجواب]: **الجواب عن ذلك من ثلاثة وجوهٍ:**

* **أَوَّلها**: أَنَّه لم يكن يُعرَف بِاسْمٍ، وإِنَّما يُعرَف بِهذه الكُنية، فذُكِرَ بِها.

* **وثانيها**: أَنَّه أَبلغُ في الإهانة والإذلال؛ بأَنْ يُذْكَرَ بما يُعَظَّم في حالِ عذابٍ؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدُّخان] على وَجْه الإهانة والإذلال والتَّوبيخِ له.

* **وثالثها**: لِمَا في كُنْيَتِه من الإشارة إلى عذابِه؛ فاللَّهَبُ يَدُلُّ على النَّار.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿وَتَبَّ﴾: لم يَربَحْ.

﴿وَمَا كَسَبَ﴾: كَسْبُه: وَلَدُه.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾: هي أُمُّ جَمِيلٍ الَّتي كانتْ تحمِل أغصانَ الشَّجَر الكبيرةِ ذات الشَّوْك؛ فتُلْقِيها في طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَذِيَّةً له.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

[مسألةٌ]: هنا قال الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾)، فلم يذكرْها بِاسْمٍ ولا كُنيةٍ، وَأَمَّا زوجها فذَكَره بالكُنية؛ لأَنَّه أُضيفَت إليه فتُعرَف به، لكن تُعرَف بالاسْم أكثر، لأنَّها لو مات زوجها عنها ذَهَب اسمه، أو كانت قبل أن تتزوَّج لا تُضاف إليه، فلماذا لم يُصَرَّح باسمها ولا كنيتها؟ (١)

[الجواب]: لأَنَّها كانت تُعرَف بـ(أُمِّ جميلٍ)، ولا اسْمَ لها؛ ففي اسمِها من

---

(١) لمَّا سأل الشَّيخُ الطَّلبةَ عن علَّة هذا، ذكر أحدُهم أنَّ ذلك وقع إهانةً لها. فقال الشَّيخ:

كلمة (امرأة) ليس فيها إهانةٌ، كما أنَّ هذا لا يُساعِد عليه القرآنُ؛ لأنَّه جاء فيه (امرأة) غير مُسَمَّاةٍ في مقامات التَّكريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التَّحريم:١١].

التَّمْلِيح ما لا يُناسِب العذابَ.

فلو قيل: (وأُمُّ جميلٍ حَمَّالة الحَطَب) لم يكن ذلك مُستمْلَحًا؛ لأَنَّ اسْمَ (الجمَال) لا يُناسِبُه العذابُ، والقرآنُ على أكمَلِ الأَوْجُه في البيان والبلاغة.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾: فِي عُنقِها حَبْلٌ مِن مَسَدٍ، وهو اللِّيفُ الشَّدِيدُ الخُشُونةِ إذا فُتِل وجُدِل كضَفائر الشَّعَر.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قوله: (كضفائر الشَّعر): **الضَّفائر**: الشَّعر الَّذي يُجمَع بعضُه إلى بعضٍ، ويُشَدُّ في صورةٍ معروفةٍ مُرسَلةٍ عند العرب تُسَمَّى (ضفيرةً).

والآن لم يَعُد النَّاس يعرفونَ (ضفائر الشَّعر)، لأنَّهم صاروا يَقُصُّون الشَّعر، لكن يعرفون ضَفائر البَطَّاريَّة!

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الإخلاص

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السَّيِّد الكامل المقصود فِي قضاء الحوائج.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾: ليس له وَلَدٌ ولا والدٌ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾: لا يُكافِئُه أحدٌ في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صِفاته، ولا في أفعالهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المُصنِّف في تفسير (الصَّمد) يَدُلُّ على أَنَّ صَمدانِيَّة الله تجمع أمرين:

- ✓ **أحدهما**: كمالُه – سبحانه – في نفسِه، في قوله: (السَّيِّد الكامل).
- ✓ **والآخر**: تكميلُه غيرَه في احتياجِهم إليه؛ وذلك في قوله: (المقصود في

قضـــاء الحوائج)؛ فالخَلْق مفتقِرُون إلى الله في حوائجهم؛ في صِـــحَّةِ أحدهم، ورِزْقه، وقُوَّته، وغير ذلك.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة الفلق

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

﴿أَعُوذُ﴾: أَلْجَأ وأعتصِم.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف - وَفَّقه الله - أَنَّ معنى قوله: (﴿أَعُوذُ﴾: ألجأ وأعتصم):

فـ (العَوْذ): الالتجاء والاعتصام. و(الاستعاذة): طَلَبُ الالتجاء والاعتصام.

ويكون (العَوْذ) مع وُرُود المُخَوِّف؛ فإذا وَرَدَ على العبد ما يُخَوِّفُه طَلَبَ العَوْذَ.

و(العَوْذ) هو (العِياذ)؛ فيُقال: (العَوْذ)، و(العِيَاذ).

والفَرْق بين (العِياذ، واللِّياذ):

و (العياذ واللِّياذِ) بمعنًى واحدٍ.

لكنَّ الفَرْق بينهما: أَنَّ (اللِّيَاذَ): يشتمِل على الاختفاء بِسِرٍّ.

فـــ (العياذ): لجُوءٌ واعتصامٌ، و(اللِّيَاذ): لُجوءٌ واعتصامٌ، لكنَّ (اللِّيَاذَ) يكون مع السِّرِّ والاختفاء.

ومنه: قوله تعالى في المنافقين: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾[النُّور:٦٣]: يعني بِسِرٍّ واختفاءٍ.

ومنه: قول بعض العرب مِن أهل بلادنا وغيرهم: (تجد فلانًا في اللَّوْذَة)، **واللَّوْذَة**: الزَّاوية المُخْتَفِية.

وأيضًا مَنْ مَضَى بسرعةٍ واختفاءٍ يُقال عنه: (لَاذَ مِن هنا): أي مضى بسرعةٍ واختفاءٍ.

وأمَّا ما يُقال مِن أنَّ **(العَوْذ)**: عند وُرود المُخَوِّف، و**(اللِّياذ)**: عند الطَّمع والرَّجاء، ويُستدَلُّ له بقول المُتَنبِّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أُحَاذِرُهُ

فهذا معنًى لا تعرفه العرب، وهو مِمَّا أخطأ فيه المُتَنبِّي.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْح.

﴿غَاسِقٍ﴾: الغَاسق هو اللَّيل.

﴿إِذَا وَقَبَ﴾: إذا استَحْكَمَ ظَلامُه.

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾: الأَنْفُس السَّواحر؛ مِن الرِّجال والنِّساء، اللَّواتِي يَسْتَعِنَّ على سِحْرِهِنَّ بالنَّفخِ مع رِيقٍ لطيفةٍ في العُقَد المَشْدُودَة عليه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذا الَّذي ذَكَره المُصنِّف في تفسير (النَّفَّاثات) يُفِيد أَنَّه وَصْفٌ لا يَخْتَصُّ بالنِّساءِ، لكنَّ التَّأنيثَ باعتبارِ (الأَنْفُس)؛ فهو اسْمٌ لـ(الأنفُسِ السَّواحِرِ من الرِّجال والنِّساء).

قال: (اللَّواتِي يَسْتَعِنَّ على سِحْرِهِنَّ بالنَّفخ مع ريقٍ لطيفةٍ)؛ وهذا يُسَمَّى (نَفْثًا).

- فـ(النَّفْث): هَواءٌ مَصْحُوبٌ بِرِيقٍ لَطيفةٍ.
- وإذا جُرِّدَ مِن الرِّيق سُمِّي (نَفْخًا).

فلا يكون (نَفْثًا) إِلَّا مع ريقٍ لطيفةٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

معاني سورة النَّاس

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [النَّاس].

﴿أَعُوذُ﴾: أَلْجَأ وأَعْتَصِم.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

فمعنى (أَعُوذ) في سورة النَّاس هو معناها في سورة الفلق.

وهاتان السُّورتان أعظمُ التَّعوُّذات؛ فعند مسلمٍ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»؛ أي لا يُلجَأ ولا يُعتصَم إلى الله بمثلِ هاتين السُّورتَيْن.

فأنتَ إذا خِفْتَ شيئًا ليس الأكملُ أَنْ تقول: (أعوذُ بالله مِن فلانٍ)، بل الأَكْملُ: أَنْ تقرأ عليه الفَلَق والنَّاس بِنِيَّة طَلَبِ اللُّجوء والاعتصام من شَرِّه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: بِسَيِّدِهم المَالِكِ المُصلِحِ لهم.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: مَعْبُودِهم بِحَقٍّ.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: هو الشَّيطان؛ يَتَأَخَّر ويَندَفِع إذا ذَكَر العبدُ رَبَّه، واستعاذَ به فِي دَفْعه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ المصنِّف في تفسير (﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾) أَنَّه (الشَّيطانُ؛ يَتَأَخَّر) أي يرجع مُتَأَخِّرًا، (ويندفِع إذا ذَكَر العبد رَبَّه، واستعاذ به في دَفْعِه).

والمراد به هنا: الشَّيطان الجِنِّيُّ.

فإِنَّ الشَّيطانَ الإنسيَّ إذا استعذتَ مِنه قد لا يَخنَس ولا يَرْجِع عن شَرِّه، وإِنَّما الَّذي يحدث له هذا: هو الشَّيطان الجِنِّيُّ.

- فإلقاء الشَّرِّ مِن الشَّيطان الجِنِّي يُسَمَّى (وَسْوَسةً).
- وإلقاء الشَّرِّ من الشَّيطان الإنسيِّ يُسَمَّى (وَشْوَشةً).

والوَشوشة: الصَّوت الخفيف؛ لأَنَّ الشَّرَّ لا يكون إِلَّا في خَفاءٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ : يُحَسِّنُ لهم الشَّرَّ ويُقَوِّي إرادتَهم له، ويُقَبِّحُ لهم الخيرَ ويُثَبِّطُهم عنه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

في هذه الجملة بيان **حقيقة الوَسوسة الشَّيطانِيَّة، وأَنَّها**: تحسين الشَّرِّ للنَّاس وتقويةُ إرادتِهم له، وتقبيحُ الخير لهم وتثبيطُهم عنه؛ يعني إضعَافَهم عنه.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾: مَحَلُّ وَسْوَسته: صدورُ الخَلْق من الجِنِّ والنَّاس.

تَمَّ الكتاب بِعَوْن الله وحُسْن توفيقِه
على يد جَامعه لنَفْسه ولِمَنْ شاء الله مِن خَلْقِه:
صالحِ بنِ عبدِ الله بنِ حَمدٍ العُصيميِّ
غَفَرَ الله ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
في غُرَّة ذي القَعدة، سنة إحدى وثلاثين بعد الأربعمائة والأَلف
بمدينة الرِّياض حَفِظها الله دارًا للإسلام والسُّنَّة

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

فقوله: (﴿وَٱلنَّاسِ﴾) هنا يُراد بِها: جِنْسًا يجمَعُ الإنسَ والجِنَّ.

فالإنسُ والجِنُّ جميعًا يُسَمَّوْن (ناسًا)، والإنس بعضُهم، والجِنُّ بعضُهم؛ أُخِذَ هذا مِن **النَّوْس**؛ وهو الحَرَكة والاضطراب.

فوائدُ وتنبيهاتٌ
بعد ختم الشَّرح

* طالب العِلْم لا بُدَّ أن يُوَثِّق قراءتَه وأَخْذَه؛ حَتَّى يعرفَه ويضبَطه، فنحن الآن في يومٍ وسنكون بعد عشرين سنةً في يومٍ آخرَ، فتعرفُ حِينذاك أنَّك قرأتَ هذا القَدرَ في اليوم الفُلانِيِّ في السَّاعة الفُلانيَّة؛ وإذا لم تُقَيِّد هذه الأمور ولم تُضبَط تَضِيع على طالب العِلْم؛ ولذلك لم يَزَلْ هذا مِن عادة أهل العِلْم أن يُثْبِتُوا مِيعَاد الدَّرس، ثُمَّ ضَعُفَ العِلْم فَضعفت هذه الأحوال.

والمِيعَاد المُثبَت: أن تكتبَ عند بِداية الدَّرس في أَوَّل الكتاب مثلًا: (بَدَأ هذا الدَّرس فَجْر يوم الأحد التَّاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة كذا وكذا، السَّاعة كذا وكذا).

وفي الأخير تكتبُ نِهاية المجلس، وتكتب التَّاريخ، وتكتب السَّاعة؛ هذا معنى (الميعاد).

وإذا كان الدَّرس مائةَ مجلسٍ فتُثْبِتَ مائةَ مِيعادٍ.

* العرب تُسَمِّي الآخِذ عن شيخٍ (صاحبًا)، ولا تُسَمِّيه (تلميذًا)؛ لأنَّ (التِّلميذ) ليست كلمةً عربِيَّةً، وإنَّما هي كلمةٌ حادِثةٌ عُرِّبَت ثُمَّ استُعمِلت، لكن فالأكمل تسميتُه (صاحبًا)، وهو الموجود في القرآن والسُّنَّة.

* لا يُوجَد شيءٌ اسمُه (الشَّطْب)؛ لأَنَّ (الشَّطْبَ) يعني: الشَّقَّ، فيُقال: (الضَّرْب)، ولا يُقَال: (الشَّطْب).

* يُقَال: شهر ذي القَعدة - بالفتح -، ولا يُقال: شهر إحدى عشر؛ فالعرب تَعُدُّ شهورها بالأسماء لا بالأرقام، وإِنَّما هذا فِعْل غيرِهم.

* هذه الدُّروس مَحَلٌّ للتَّعليم، ومَنْ كان عنده سؤالٌ يكتبه في ورقةٍ، ثُمَّ يُرسله إلينا، ثُمَّ نُجيب عنه بعد ذلك.

فَعُلِم أَنَّ السُّؤال يَخْتَصُّ بِهذه الصُّورة دون غيرِها، فلا يسأل في الدَّرس، ولا يسأل بعد الدَّرس؛ فكلُّ هذا ليس مَحَلًّا للسُّؤال، بل يُكتَب السُّؤال ثُمَّ نُجيب عليه في مقامِه اللَّائق؛ فإذا قُمْتُ لا آذَنُ لأحدٍ بأَنْ يسألَني؛ لأَنَّ هذا ليس مقامًا له.

* الدُّروس مُرَتَّبةٌ في مَواقيتها؛ فمَنْ أَحَبَّ أَنْ يلتزم بِها فَلْيلتزم بِهذه المَواقِيتِ أَوَّلًا، ثُمَّ يلتزم بأَدَبِ الدَّرس؛ فطَلَبُ العِلْم عِبادةٌ، ونحن في بلدٍ حرامٍ، في شهرٍ حرامٍ، ولا تقع العِبادةُ مُتَقَبَّلةً عند الله إِلَّا إذا كانت على ما يُحِبُّه الله ويَرضاه.

فالعِلْم ليس عَبَثًا؛ فلا يأتِي طالبٌ ويُلقِي كتابَه على الأرض، أو يَمُدُّ رِجْليه إلى الشَّيخ، ويَتَّكِئ على ما وراءَه، ويُتابع الجَوَّال في يده! فإنَّ هذا أَخَلَّ بعِبادة العِلْم، وذَهَب عنه أَجْرُها في وقتٍ مباركٍ، في بلدٍ مُباركٍ، في شهرٍ مُباركٍ.

ومَنْ أراد البَرَكة يطلب أسبابَها؛ فاجتهِدُوا في أسباب البَرَكة.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُبارِك لنا ولكم أجمعين.

والحمد لله رَبِّ العالمين، وصَلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّدٍ، وآله وصَحْبه أجمعين.

تمَّ الشَّرح فِي مجلسٍ واحدٍ
بعد الفجر يوم الجمعة التَّاسع والعشرين من ذي القَعدة
سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألفٍ
في المسجد الحرام بمدينة مكَّةَ المُكرَّمة

فَوَائِد

فَوَائِد